وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة موسومة بـ :

مفهوم البنية
عند فردينان ديسوسير

إشراف الدكتور:

براهيم أحمد

إعداد الطالبتين :

علالي سومية

بوشاقور رشيدة

السنة الجامعية 2016م/2017م

كلمة شكر

الحمد لله الذي وهبني التوفيق و الثبات، و منحني الرشد و السداد، و كان لي عون في إنجاز هذه المذكرة .

أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذ المؤطر أحمد براهيم الذي كان عونا لنا في إنجاز هذه المذكرة و لم يتوانى في تقديم المساعدة و النصائح .

وإلى والدينا العزيزين اللذان كانا لنا سندا في هذا المسار و نشكرهم جزيل الشكر على هذا العرفان .

و أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتنا من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي الذي بفضلهم تجاوزنا العقبات وأصبحنا في هذا المستوى.

وأتمنى أن نكون قد وفقنا في إعداد هذا العمل المتواضع الذي ليس سوى قطرة ماء من بحر العلم الواسع .

و ما توفيقنا إلا بالله العزيز الرحيم

إهداء

من وثق بالله أراه السرور و من توكل عليه كفاه الأمور.

أهدي هذه الجوهرة إلى من أنجبتني و حملتني تسعة أشهر بفرح و مرح دون ملل ولا كلل إلى "أمي الغالية" التي أتمنى من الله أن يطول عمرها و يحفظها لي .

إلى من كان سند لي و كان إلى جانبي كلما احتجته إلى من أشعر معه بالأمان و الحنان إلى "أبي الغالي" الذي أطلب من الله أن يمده بالصحة و العافية و لا يريه وجعا .

إلى أستاذي المتواضع و الكريم "إبراهيم أحمد" .

إلى كل عائلتي أخواتي و إخواني و زوجة أخي، إلى رفيق دربي "زوجي العزيز" .

إلى قرة عيني و مزيلة همي و غمي حبيبتي الصغيرة "ريتاج"، إلى أختي"رشيدة بوشاقور" و كل أصدقائي و أحبائي، و أتمنى من الله أن يحفظهم و يرعاهم .

سومية

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من علماني الثقة بالنفس و الإيمان بالحياة و سهرا على تربيتي وتعليمي و ظلوا في حياتي رمز العطاء، إلى من أعزهم الله و جعل رضاه من رضاهم، الوالدين الكريمين حفظهما الله و رعاهما و كل أفرادي عائلتي.

وإلى زميلتي بالعمل علالي سومية .

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع إلى الأستاذ المؤطر إبراهيم أحمد .

إلى كل الأحباب و الأصدقاء.

رشيدة

مقدمة عامة

الفلسفة المعاصرة هي كل التيارات الفلسفية التي ظهرت خلال القرن 19م، والقرن 20م و كانت عبارة عن مناهج و مذاهب ولم تكن فلسفات لأن الفلسفة منذ القدم درست كل الموضوعات لذلك الجديد في الفلسفة المعاصرة هو المنهج أي طرق ووسائل الوصول إلى المعرفة، فكانت عبارة عن سعى من خلالها الفلاسفة إلى مزج معطيات ومعارف فلسفية سابقة ويعود تعدد هذه المذاهب واختلافها إلى التراث الفكري والفلسفي الضخم الذي وجده الفلاسفة،ومن بين هؤلاء العظماء نجد الفيلسوف دي سوسير الذي يعد العالم اللغوي واهم اسم في البحث اللغوي المعاصر حيث سعى طول حياته وبجهد لا يعرف الكلل إلى البحث عن القوانين التي يوجه بها فكره وسط الفوضى، ويرتبط هذا الاسم "بالبنية" منهجا ارتباط الفرع بالأصل، والنظر البنيوي إذا هو النظر في اللغة نظرا آنيا شموليا.

ويعتبر هو الرائد الأول لعلم اللسانيات بحيث لا يكتمل الحديث عن اللسانيات الحديثة ومناهجها، وتطور تصوراتها وتفرعها إلى مدارس واتجاهات من دون استحضار دور اللساني دي سوسير في المسار التي قطعته اللسانيات، حتى غدت نموذجا له قيمته النظرية والمنهجية المتميزة في حقل العلوم الإنسانية، فما عرفته اللسانيات وغيرها من المجالات اللغوية القريبة منها المتداخلة معها من تطورات لم يكن ممكنا من دون المساهمة الإيجابية للمفاهيم و التصورات الواردة في محاضرات سوسير و هي المفاهيم التي غالبا ما أعيد صوغها في مجالات معرفية أخرى مثل (علم النفس، علم الاجتماع، السيميائيات، فلسفة اللغة) مما يجعل من دي سوسير مرجعا لا محيد عنه في التساؤلات التي طرحت في جل المجالات المرتبطة باللغة و قضاياها.

بحيث يصبح موضوع اللسانيات الوحيد و الحقيقي هو اللغة و اعتبارها بذاتها و لذاتها كون اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة حيث بدأ سوسير عملية اللسانيات من حيث ينبغي أن يبدأ التأسيس لأي علم فكل ممارسة فكرية تريد أن ترقى للمستوى العلمي الجاد و المقبول المتمثل في وضع نظرية عامة حول طرائق تناول القضايا اللغوية و من المعلوم أنه لدى دارسي المناهج العلمية أن العلم لا يقوم إلا إذا حدد الموضوع أولا و المنهج ثانيا، يقال الموضوع هو الذي يخلق المنهج بينما اللسانيات فليس الأمر كذلك تحتاج إلى تحديد المنهج أولا ثم الموضوع .

و بهذا فإننا ندين لدي سوسير بأول صياغة لسانية صرفة واضحة و مفصلة لنظرية في اللغة و من الأكيد أن هناك روادا فيما يخص مختلف الأفكار و مع ذلك كان لسوسير الفضل في أنه لم يهتم بالأفكار المعزولة المعروفة مسبقا و لكنه شكل منها نظرية نسقية و من ثم جعلها خصبة و لهذا السبب اعتبر سوسير في المناطق الناطقة بالفرنسية بالضبط أبا للبنيوية، و يتجلى المنهج اللساني في المفاهيم التي قدمها من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبته و من أبرز المفاهيم التي تبنت المنهج البنيوي هي اهتمامه بطبيعة اللغة و جوهرها مما صيرها عنده موضوعا للبحث العلمي و أنها نظام من العلاقات لا قيمة لوحداتها و سائر مكوناتها إلا بالترابطات أو العلاقات القائمة بينها .

فاللسانيات البنيوية إذن هي المنهجية النظرية التي تعد اللسان بنية أي مجموعة من العناصر التي تقيم علاقات شكلية فيما بينها، و هي علم يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي، كان اللساني في القرن الماضي يهتم بتصنيف و ترتيب الحوادث الهائلة بمنهاج معين وملائم لمثل تلك الدراسات أما اللساني المعاصر فوجد نفسه أمام فكرة البنية المهيمنة على اللسانيات الحالية.

إن مفهوم البنية يحيلنا إلى اللساني دي سوسير الذي اصطلح عليه بمفهوم "النسق" أو "النظام" فهو يعتبر أن البنية هي التي لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إليها بوصفها بناء أو نظاما أي بالرجوع إلى علاقاتها الداخلية بدلا من علاقاتها الخارجية لأنها توظف حسب تناقضاتها الداخلية و على الرغم من أن سوسير نفسه لم يستخدم مصطلح بنية و إنما استخدم كلمة نسق أو نظام إلا أن الفضل الأكبر في ظهور المنهج البنيوي في دراسة الظاهرة اللغوية يرجع إليه أولا و بالذات، و من هنا يتمثل الإشكال الرئيسي في، **ما مفهوم مصطلح البنية؟** و يتفرع هذا الإشكال إلى عدة أسئلة فرعية، **ما معنى كلمة بنية؟ و كيف تطور هذا المفهوم؟ و فيما تتمثل إسهامات دي سوسير البنيوية وما علاقتها بعلم اللسانيات؟.**

و فرضيات الدراسة هناك ثلاثة فرضيات، الأولى مفهوم البنية مفهوم مركزي عند سوسير أي هو المهم و الأساسي، و أما الفرضية الثانية هي أن البنية ليست مفهوم مركزي بل هناك مفهوم أخر حل محله ألا وهو مفهوم العلامة، أما الفرضية الأخيرة نسبية ترى أن البنية مفهوم مركزي و ليست مركزي في نفس الوقت.

و المنهج المستخدم هو منهج تحليلي، تاريخي، مقارن، و من هذا المنطلق كان من دواعي اختيار هذا الموضوع أسباب ذاتية و أخرى موضوعية و من بين الأسباب الذاتية الميل الشديد لمثل هذه المواضيع و الأبحاث الجديدة و حب التطلع على الفلسفة المعاصرة و قضاياها، امتلاكنا لأفكار سابقة و رصيد معرفي حول هذا الموضوع، و الأسباب الموضوعية تناولنا هذا الموضوع لغرض الإثراء المعرفي أولا و اختيار الموضوع نابع من أهمية الموضوع.

ومن بين أهم الدراسات السابقة التي وجدناها دراسة الطالبة عبلة شريفي الموسومة بجهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة بجامعة قسنطينة سنة 2011م، حيث عالجت فيه علم اللسانيات و دور سوسير و انجازاته في تطور علم الدلالة، و كذلك دراسة الطالبة أحلام مناصرية المعنونة ببنية الخطاب السردي في رواية السمك لا يبالي بجامعة قسنطينة سنة 2011م، حيث عالجت موضوع الخطاب و بنيته.

من بين مفاهيم الدراسة التي واجهتنا بكثرة في هذا العمل من بينها **البنية** و هي بناء متكامل مترابط الأجزاء أو ترتيب أجزاء مختلفة في شيء واحد، **نسق** هو جملة الآراء و النظريات الفلسفية أو العلمية المترابطة ببعضها البعض بقطع النظر عن مطابقتها عن للواقع، **نظام** هو مجموعة عناصر أو أفكار أو أجهزة تترابط و تؤلف وحدة متناسقة، **اللغة** هي مجموع الأصوات الإنسانية المعبرة و مجموع الإشارات الصوتية أو غيرها التي يعبر بها عن الفكر، **اللسانيات** هي علم اللغة المؤسس على مقارنة مختلف الألسن المعروفة يتضمن

الصواتة، النحو و الصرف، علم المعاجم و علم الدلالة، **العلامة** هي مدلول لفظ أو تعبير و معناه الفكري.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا أنه في بادئ الأمر واجهتنا صعوبة عملية البحث عن المراجع و المصادر و لكن بعد الشروع في العمل و الإلمام بالموضوع تجاوزناها .

و لمعالجة هذا الموضوع فقد هيكل العمل إلى فصلين أساسيين أسبقت بمقدمة عامة حول العمل و بعدها الدخول مباشرة إلى الفصل الأول المعنون بالتطور الجنيالوجي و الكرونولوجي لمفهوم البنية التي هي في الواقع شبكة العلاقات التي يعقلها الإنسان و يجردها و يرى أنها هي التي تربط بين عناصر الكل الواقعي أو تجمع أجزاءه، و هي القانون الذي يتصور الإنسان أنه يضبط العلاقات بين العناصر المختلفة، إذ يحتوي هذا الفصل على مبحثين في المبحث الأول تفصلنا فيه حول مفهوم البنية في معناها الاشتقاقي و الاصطلاحي و الاديولوجي، أما فيما يخص المبحث الثاني فقد عالجنا فيها التطور الكرونولوجي لهذا المفهوم و بروزها في مختلف المجالات المعرفية و كانت محل اهتمام الفلاسفة. و بعد الانتهاء من الفصل الأول انتقلنا إلى الفصل الثاني تناولنا فيه موضوع اللسانيات ، فاللسانيات تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها و موضوعا، و يشمل هذا الفصل على مبحثين في المبحث الأول تعرفنا فيه على حياة دي سوسير و مختلف أعماله و مؤلفاته و انتهينا فيه بوفاته.

أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن مفهوم اللسانيات و مفهوم اللغة و بنية اللغة بالنسبة لسوسير و الثنائيات اللسانية .

و عليه فالبنية هي عملية دراسة اللسانيات بطريقة منسقة و منظمة و مرحلة مهمة من مراحل تطور علم اللسانيات .

الفصل الأول:

التطور الجنيالوجي و الكرونولوجي مفهوم البنية

المبحث الأول: مفهوم البنية

المبحث الثاني: التطور التاريخي للبنية

قال لالاند:

" البنية نسق و نظام من المعقولية "

محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة و المعاصرة، دار المسيرة، عمان، ط1، 2012م، ص130.

تمهيد :

إن فكرة بنية في ذاتها ليست جديدة تماما في الدراسات اللغوية فهي لا تعود إلى سوسير وحده، فلقد انتبه إليها لغويين القرنيين 18م و 19م لا سيما همبولدت و المتأثرون بالعلوم الطبيعية أمثال "شليغل" و "فرانزبوب"، وترعرعت في عدة مجالات و ميادين مختلفة وهي دراسة أو مصطلح عرف عدة تغيرات و تطورات مهدت لظهور منهج جديد و فلسفة جديدة و عليه ما المقصود بمفهوم البنية ؟، و ما هي مراحل تطور هذا المفهوم؟ .

المبحث الأول : مفهوم البنية.

تعتبر البنية مصطلح هام و بارز من أهم المصطلحات الفلسفية ظهر لأول مرة في الفلسفة مع الفيلسوف السويسري فردينان دي سوسير. بحيث يعني:

1. التعريف الإشتقاقي :

إن لفظ "البنية"STRUCTURE في الانجليزية أو ما يناظره في اللغات الأوروبية فهو مشتق من الفعل اللاتيني STRUERE بمعنى "يبني"أو"يشيد"، فحين يكون للشيء "بنية" فان معنى ذلك أنه ليس بشيء "غير منتظم"أو "عديم الشكل"، بل هو موضوع منتظم له صورته الخاصة ووحدته الذاتية وهنا يظهر ضرب من التقارب بين "البنية" ومعنى "الصورة"، ما دامت كلمة "بنية" تحمل في أصلها معنى المجموع أو "الكل" المؤلف من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه.[1]

وهي تعني كذلك "البناء" وهذا ما ذهب إليه جورج مونان حين قال"إن كلمة بنية ليست لها أية رواسب وأعماق ميتافيزيقية فهي تدل أساسا على البناء بمعناه العادي"، ويعزز قوله هذا بمثال عن الطاولة، فدراسة بنية الطاولة هي البحث عن الوحدات الحقيقية المتعلقة ببناء طاولة (من هيكل و قوائم) أو بتفكيكها قطعة بقطعة حتى يمكن تركيبها من جديد .[2]

[1] محمد مهران رشوان، و آخرون، الفلسفة الحديثة و المعاصرة، دار المسيرة، عمان، ط1، 2012م، ص130 .
[2] الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص 111 .

مثلما يحدث في اللغة حيث نحلل بنية لسانية إلى عناصرها الأساسية (من فعل واسم وحرف),لكن كلمة(strueture) تحمل دلالات مختلفة في اللغة الفرنسية فهي تعني (النظام) (ordre).

و(التركيب) (constitution) و الترتيب (disposition) و (الشكل) (pome) و (الهيكلة) (organisation)، بالإضافة إلى ذلك فان علوما أخرى غير علوم اللسانيات قد استعملت هذا المصطلح (...) +والحق أن المعنى الدقيق لكلمة (structure) لم يتم تحديده إلا في عام 1926م و على يد مدرسة براغ اللسانية وبهذا أصبح مصطلح "بنية" يفيد الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني.[1]

و"البنية" في اللغة العربية تنطوي على دلالة معمارية ترتد بها إلى الفعل الثلاثي: "بني، يبني، بناء، وبناية، وبنية" وقد تكون "بنية" الشيء_في العربية_هي "تكوين"، ولكن الكلمة قد تعني أيضا "الكيفية" التي شيد علي نحوها هذا البناء أو ذاك. ومن هنا فإننا نتحدث عن "بنية المجتمع" أو "بنية الشخصية" أو "بنية اللغة" ...إلخ. و حين كان أهل اللسان العربي يفرقون في اللغة بين "المعني" و"المبني" فإنهم كانوا يعنون بكلمة "مبني" ما يعنيه اليوم علماء اللغة بكلمة "بنية".[2]

وقد تكون "بنية" الشيء في العربية_هي "تكوينه"، ولكن قد تعني أيضا "الكيفية" التي شيد على نحوها هذا البناء أو ذاك.[3]

[1] الزبير دراقي، المرجع نفسه، ص111 .
[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ج2، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 2009م، ص ص95-96 .
[3] محمد مهران رشوان، و آخرون، الفلسفة الحديثة و المعاصرة،المرجع السابق،ص130 .

كما تدل كلمة البنية في المعجم الوسيط على هيئة البناء ومنه بنية الكلمة أي صيغتها,وفلان صحيح البنية و هكذا نرى الفروق الجوهرية بين البنية و البناء حيث تبدو البنية صفة دالة على الهيئة التي تنتظم وفقها العناصر,و تجمع البنية على بنى و بنى و بنات، أما البناء فهو الشيء المبني و كأنه موصوف ويجمع (على أبنية و أبنيات) قد تكون كلمة البنية ضمن عائلتها اللغوية أقل الصياغ استعمالا في النصوص العربية القديمة. فقد ورد الفعل (بنى) وسائر اشتقاقاته بناء، بنيان، مبنية، في نحو 22 موضع من القرآن الكريم خاليا من كلمة بنية كما استخدم النحويون البلغاء مثل تلك الصيغ الاسمية والمصدرية و سائر الاشتقاقات من مصدر يسمى (مبني).

ومادامت البنية تفيد معنى الجسم أمكننا القول بأن بنية الكلمة تعني جسمها و هيئتها التي تظهر عليها نطقا و كتابة وجاء في لسان العرب لابن منظور"أبنيته بيتا أي أعطيته ما يبني بيتا" جاء فيه أيضا "والبواني قوائم الناقة، وألقى بوانيه أقام بالمكان و اطمأت أي أنه استقر بالمكان و استقراره البناء".

ومن هنا فان كلمة بنية وما يتصل بها من مشتقات بنى بجميع مدلولاتها الحسية والمعنوية لا تكاد تخرج عن هياكل الشيء و مكونه أو هيئته ومن ذلك قوله تعالى: "إن الله يحب اللذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص".[1]

[1] يوسف وغيسي، البنية و البنيوية في المعاجم و الدراسات الأدبية و اللسانية، ضمن، الدراسات اللغوية، العدد 006، 2010م، ص257 .

2- المعنى الإصطلاحي :

لقد واجه تحديد مصطلح البنية مجموعة من الاختلافات ناجمة عن تمظهرها وتجليها في أشكال متنوعة لا تسمح بتقديم قاسم مشترك، والبنية من حيث الاصطلاح فتعني structure أي أسلوب، ثابت نسبيا، لترتيب عناصر المنظومة. وهي ما تكون عليه "أجزاء" الكل، مادية أو معنوية بحيث تتضامن فيما بينها لتكون "كلا" قائما بذاته. كما تعني أيضا جانب الثبات والاستقرار، الذي بفضله يحافظ الموضوع علي كيفيته أثناء تغير الظروف الداخلية أو الخارجية. فالمنظومة تبقي ما بقيت البنية، وتهلك، أو تتغير جوهريا، حين تنحل البنية أو تتغير أو تتبدل، وتشكل روابط الموضوع الداخلية والخارجية المقدم الرئيس لتركيبة البنيوي، ولها بعد معرفي، له أهمية خاصة في إطار المدخل المنظومي، والبنيوية، والتحليل البنيوي للوظيفة.[1] وأيضا:

هي القانون الشامل الذي نستطيع من خلاله الكشف عن الشيء الذي تقوم بدراسته، فهي عبارة عن نسق من التغيرات والتحولات، وكل تغير في أحد عناصر البنية يحدث بالضرورة تحولا في باقي العناصر التي تكونها، فالبنية هي ذلك القانون الذي يكشف عن العلاقات الباطنية والثابتة التي تعطي أولوية للكل على حساب الجزء بحيث أننا لا نستطيع فهم هذا الأخير خارج الكل أو بعيدا عن الإطار الذي يشغله[2]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص96 .
[2] فريدة غيورة، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2002م، ص145 .

داخل المنظومة الكلية، ودراسة البنية هي كشف الثابت المتغير فهي تؤمن بالثبات بالتغير أو الصيرورة.

فالبنية بهذا المعنى هي محاولة للكشف عن دراسة الظواهر و ما تحويه من تنظيم، والتنظيم نفسه يمثل بنية تقضي بعدم استقلالية هذه الظواهر عن بعضها البعض وهذا ما يساعد أكثر في ضبط وتحديد الظاهرة في مجالها المحدد و الخاص للدراسة، و على هذا الأساس يعتقد البنيويون أن معلوماتنا و معارفنا تمتاز بخصائص ثابتة، راسخة في عقولنا وجب البحث عنها و معرفتها.[1]

ونجد أن كل فيلسوف يعرف "البنية" تعريف مختلف عن آخر وعليه:

عند "دي سوسير" يعرفها أو يرى أن مصطلح "النظام" يعني عنده "بنية" مما جعله يقول: "بأن كل لغة نظام منسق تمام الاتساق محكم التأليف"، "إن البنية معناها الترابط المحكم القائم بين أجزاء اللغة الواحدة بحيث تنظم كل أشكال هذه اللغة و صورها سواء في تركيب الأصوات أو تركيب العمل".[2]

فالبنية كما تكشف نظرية اللغة عند سوسير يمكن إذا أن تشير إلى "قيمة" العناصر في نظام ما أو سياق ما، وليس في وجودها المادي أو الطبيعي، والآن أصبح واضحا أن الوجود المادي لكيان ما يعتبره التعقيد عن طريق الآثار الناجمة عن المحيط اللغوي والثقافي.[3]

[1] فريدة غيوة، المرجع نفسه، ص145.
[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها و تطورها و أبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 2009م، ص180 .
[3] جون ليشيته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلا ما بعد الحداثة، تر، فاتن البستاني، مركز الدراسات العربية، بيروت، ط 1، 2008م، ص313 .

فالبنية إذا تذكرنا بأنه لاشيء اجتماعي أو ثقافي يوجد كعنصر ايجابي وأساسي خارجها بمعزل عن العناصر الأخرى. [1]

" جان بياجيه " يعرف "البنية" بأنها نسق من التحولات يحتوي على قوانينه الخاصة علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما و يزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تستعين بعناصر خارجية، فالبنية عنده هي مجموعة التحويلات تحتوي على قوانين المجموعة تبقى أو تغتنى بلعبة التحويلات نفسها، و بكلمة موجزة تتألف البنية من مميزات ثلاثة هي: "الكلية،التحويلات،الضبط الذاتي":[2]

- **الكلية:** تعني التماسك الداخلي للوحدة، إذ هي كاملة في ذاتها كالخلية الحية تنبض بالحياة التي تشكل قوانينها و طبيعة مكوناتها الجوهرية حيث إن كل مكون من هذه المكونات لا يجد قيمته في ظل نسيج كلي شامل مسمى الوحدة الكلية.
- **التحولات:** وهي عملية توليد تنبع من داخل النسيج، كالجملة التي يمكن أن يتولد منها عدد من الجمل تبدوا جديدة و هي كذلك لأنها لا تخرج عن قواعد التركيب اللغوي للجمل. [3]

[1] جون ليتشيه، المرجع نفسه، ص313 .
[2] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993م، ص18 .
[3] رابح بحوش، اللسانيات و تحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، عمان، ط 1، 2007م، ص45 .

- **التحكم الذاتي:** وهو استغناء البنية بنفسها عن غيرها ووظيفتها تنتج من الداخل دون اعتماد عوامل خارجية لأن الجملة في عملية التحويل و التوليد لا تحتاج إلى مقارنة أو موازنة مع أي وجود عيني خارج عنها كي يقدر صدقها، فهي تعتمد سياقها اللغوي فقط.[1]

ويقدم لنا "لالاند" تعريفا لها فيقول: "أنها نسق أوكل مؤلف من ظواهر متضافرة بحيث تكون كل ظاهرة فيها تابعة للظواهر الأخرى، ولا يمكن أن تكون ما هي عليه في علاقتها بتلك الظواهر".

وفي هذا المعنى تكون البنية نسق متكامل من الظواهر التي ترتبط فيما بينها بعلاقات محددة، و هذه العلاقات هي التي تعطي لهذا النسق وحدته وتوضح وظيفته، ولا يمكن فهم أية ظاهرة فيها بمعزل عن الظواهر الأخرى داخل النسق، إذ لا قيمة للعناصر المكونة للبنية إلا بالنظر للعلاقات القائمة بينها والتي تربط هذه العناصر بعضها إلى البعض الآخر، وتؤلف بينها في نسق محدد أو منظومة محددة.

لعل أبسط تعريف لمفهوم "البنية" هو "أنها نسق أو نظام من المعقولية".[2]

ويقول: "بمعنى خاص و جديد تستعمل البنية من أجل تعيين كل مكون من الظواهر المتضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر أخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل، وهذه الفكرة هي الأساس فيما نسميه أيضا بنظرية الصيغ".[3]

---

[1] رابح بوحوش، المرجع نفسه، ص45 .
[2] محمد مهران رشوان، و آخرون، الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص131 .
[3] عمر مهيبل،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص17 .

أما "راد كليف براون" يعرفها بأنها ترتيب أشخاص تقوم بينهم علاقات محددة على نحو تأسيس كالعلاقات القائمة بين الملك و رعيته أو الزوج وزوجته,وتبرز في كل مجتمع خمسة أنواع من البنى: البنى الاقتصادية، البنى الديموغرافية، البنى الاجتماعية، البنى التأسيسية، البنى السياسية و القانونية.[1]

ويرى فولكييه أن الدراسات و البحوث في مجال العلوم الإنسانية ينبغي لها أن تنشد الطريقة البنيوية بمعنى توضيح الموضوع الذي تود دراسته بوضعه داخل البنية حيث كان موجودا أو متضمنا من قبل.

ويقدم لنا كلود ليفي ستراوس " claude levi_strauss" زعيم الاتجاه البنيوي-تعريفا للبنية يقرر فيه ببساطة أن "البنية" تحمل أولا و قبل كل شيء طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحويلا في باقي العناصر الأخرى، ذلك أنه رغم التنافر الظاهري الذي نلاحظه بين البنى و الظواهر في المجال الإنساني فان هناك قواسم مشتركة و روابط تربط بينها (...) و يقول ليفي ستراوس: "في الواقع نرى أن النماذج التي تستحق اسم البنية يجب أن تلبي شروطا" أهمها:

أولا: تتسم البنية بطابع المنظومة فهي تتألف من عناصر ستتيح تغير أحدهما بتغير العناصر الأخرى كلها.[2]

[1] ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية و الفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008م، ص168 .
[2] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص17 .

ثانيا: كل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحولات التي يطابق كل نموذجا من أصل واحد بحيث أن مجموع التحولات يشكل مجموعة من الخارج.[1]

يقول ستراوس: "البنية تنظيم منطقي لكنه ضمني و هو أساس موضوعي كائن خفي في العقل و الوعي (بنية لا واعية) ".[2]

و يقدم لنا "ألبير سربول" (أستاذ التاريخ الحديث بالسربون) وهو من المعارضين للاتجاه البنيوي، تعريفا للبنية فيقول: "إن مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنية الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ: الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء بحيث لا يكون من الممكن فهم عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية أو داخل المنظومة الكلية الشاملة.[3]

ويقول الدكتور"زواوي باغورة " أن البنية (تعني الكيفية التي تنظم بها عناصر مجموعة ما أي أنها تعني مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى، وحيث يتحدد هذا العنصر أو ذاك بعلاقته بمجموعة العناصر، ومن هذا التعريف يتضح أن البنية شكل من مجموعة عناصر و جزيئات ملتحمة فيما بينها، و يبقى كل عنصر منها متعلق بغيره من العناصر ضمن المجموعة ككل.[4]

[1] عمر مهيبل، المرجع نفسه، ص17 .
[2] ناظم عبد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية و الفلسفية و الدولية، المرجع السابق، ص 166 .
[3] محمد مهران رشوان، و آخرون، الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص 134 .
[4] أحلام مناصرية، بنية الخطاب السردي في رواية السمك لا يبالي، جامعة قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، 2011م، ص11 .

اميل بنفنيست : "يعتبر البنية ذلك النظام المنسق الذي تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة للتماسك".

و يضيف كذلك فوكو بأنها مجموعة من الاختصاصات والشواغب وعددا معينا من التحاليل لها في الواقع موضوع واحد.

و يعرف جون ليونز البنية بأنها: "نظام من العلاقات أو مجموعة من الأنظمة يرتبط بعضها ببعض و حيث إن العناصر أصوات و كلمات، ليس لها أي قيمة باستقلال عن علاقات التكافؤ و المقابلة التي تربطها".

"أن كلمة البنية لا تضيف إلى أذهاننا شيئا جديدا عندما نستعملها سوى أنها شيء لاذع و رائع" و يزداد إبهام المفهوم الذي يحيل عليه اللفظ "بنية" حين يتداخل مع ألفاظ أخرى قريبة منه:

- نسق système

- تنظيم organisation

- صورة forme

- هيكل ossature

و هي مفاهيم تأخذ دلالات مختلفة من نظرية إلى أخرى و من مجال معرفي إلى آخر.[1]

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط 1، 2010م، ص256 .

3 -المعنى الإيديولوجي:

لدي سوسير الفضل في كونه أول من ابتكر المنهج البنيوي و استعمله في الأبحاث اللغوية غير أنه لم يبقى وفقا على اللسانيات وحدها فهذان ليفي ستراوس و ليفي برول أقتنياه و أدخلاه في علم الأنتروبولوجيا (...) ومع تعدد استعمالاته في ميادين أخرى فان البنية أخذت أبعادا خطيرة لاسيما حين إشتغلتها الرأسمالية كايديولوجيا للرد بها على النظام الاشتراكي ومعنى ذلك أن الإنسان ليس حرا في تصرفاته وإنما ولد وخلق في هذا النظام الذي تسيطر عليه هذه البنى سيطرة كاملة، فالغني غني بهذا النظام والعبد عبد بفضله كذلك، و بالتالي ، فلا حول ولا قوة للإنسان أمام هذه البنى الموجودة قبل وجوده، وفي أي مجتمع كان.

والبنية في نظر معاكسيها تعني من الناحية الإيديولوجية رفض التاريخ و غلق النظام الاجتماعي أو بالأحرى تفوق النظام المغلق على الحياة بما فيها من تقدم وتطور وهي ظاهرة فنية لاسيما من الناحية الاقتصادية، تريد "الدوام والوقوف".

كما قال سارتر: "وأخيرا هي وسيلة ثقافية يستعملها المجتمع المحافظ للقمع والبقاء في نماذج جامدة"، حاول ستراوس التنصل من هذا الاستعمال الخطير للبنية بعد أن أثبت في كل مؤلفاته الأنتروبولوجية بأن البنية هي الحقيقة الأولى و ليست مجرد نتيجة أو أثر للحياة الاجتماعية،[1]

[1] الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، المرجع السابق، ص 112 .

طفق يصرخ في أحد خطبه: "إنني بريء من الأبعاد الخطيرة التي آلت إليها هذه النظرية ولقد طبقتها أساسا على المجتمعات البدائية وهي غير صالحة للمجتمعات المتحضرة".[1]

و بذلك فان البنية هي نسق أو نظام يقوم بضبط أو صياغة مجموعة من العناصر بحيث لا يمكن الخروج عن ايطار هذه المجموعة المتماسكة.

[1] الزبير دراقي، المرجع نفسه، ص112 .

المبحث الثاني : التطور التاريخي للبنية.

إذا كان الكثيرون قد وجدوا الوجودية في الماضي البعيد أو القريب أسلافا من أمثال "القديس أوغسطين" و"باسكال" و"مين دي بيران" و"كيركجراد" و"نيتشه" وغيرهم فان البعض أيضا قد وجد للبنية في الماضي البعيد أو القريب أسلافا من أمثال "أرسطو" و"ريمون لون" و"ليبنز" و"روسو" و"كانط" و"ماركس" و"فرويد"، ولكن إذا كانت هذه الشجرة الضخمة من الأنساب مثار شك فان على الأقل موضع تساؤل فان الذي لاشك فيه أن الأب الحقيقي لهذه الحركة في العصور الحديثة هو العالم السويسري دي سوسير (1857م _1913م) الذي يعود له الفضل في ظهور مصطلح البنية من خلال كتابه الهام "دروس في الألسنية العامة" (1916م)، [1]وتعود نشأتها إلى عدة خلفيات وهي كالتالي:

أ- الخلفيات الأولى للبنية :

1 -الخلفية اللسانية :

أ)-**دي سوسير :** لفهم البنية لابد من العودة إلى أصولها الأولى، للتعرف على بذورها في الفكر الحديث وتطورها في مختلف العلوم الإنسانية والدراسات النقدية والأدبية والكشف عن أهم معالمها التاريخية، ولقد انطلق العالم السويسري دي سوسير في تأسيس النظرية البنيوية ومؤسس اللسانيات الحديثة واليه يرجع الفضل في تحديد المنهج [2]

[1] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، د ط، 1990م، ص43 .
[2] محمد بلقاسم، النقد البنيوي، ضمن، مجلة النحاب و اللغات، العدد 8، 2009م، ص150 .

فقد طرح في بداية كتابه قضية "بنية اللغة" وهي قضية لم يعرها الباحثون قبله اهتماما ينكر، وفي بحثه اللغوي استطاع أن يكشف أن المفردة اللغوية ليست معادلا بسيطا ومباشرا حيث "أن التلفظ الصانت يرسل صورة سمعية، هذه الأخيرة تصل إلى الأذن تنطبع على الحواس حيث تنتقل أو تتحول إلى مفهوم".

وبهذا اكتشف أن المفردة اللغوية بنية فسماها علامة و قال: "إن العلامة ليست بسيطة بل هي مكونة من مفهوم سماه مدلول وصورة سمعية سماها دال، فالعلامة إذا ليست هي الدال بعينه ولا مدلول بذاته، بل هي بنيتها" وهذا ما يتعلق بالمفردة ولكن أضاف إليها نشاطا آخر هو نشاط الربط والتنسيق بحيث تصبح اللغة نسق من العلامات.

لقد ابتعد دي سوسير عن النظر في اللغات من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة وأكد أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو أن نحاول وصفها كما هي في فترة زمنية محددة وأن نصل من هذا الوصف إلى القواعد أو القوانين العامة التي تحكمها وأن توصل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها، وإذا كانت كلمة البنية تعني شيئا معينا أو تستجيب لشيء ما فإنها تعني طريقة جديدة في طرح وتفسير المشاكل في العلوم التي تناقش العلامة.

ب- بلومفيلد : يبدو لكثير من علماء اللسانيات المعاصرين أن بلومفيلد كان حجر الأساس في بناء النظرية البنيوية في علم اللسانيات و يتجلى ذلك في كتابه "اللغة" ففي الوقت الذي بدأ فيه عمل سوسير يظهر و يعرف في أوروبا ظهر بلومفيلد و اقترح بطريقة مستقلة عن الدراسات الأوروبية نظرية عامة في اللغة.[1]

[1] محمد بلقاسم، النقد الأدبي، المرجع نفسه، ص 151 .

واهتمت "السلوكية" بالفكرة القائلة بأن الفروق بين البشر محكومة بالبنية التي يعيشون فيها، وأن أي سلوك هو رد فعل، أي يحدث نتيجة استجابة للمثير الخارجي عند اقتحام السلوكية الميدان اللساني أصبحت الأشكال اللغوية تحلل كما هي ملحوظة في الواقع اللغوي دون أدنى اهتمام للبنية الضمنية.

تطورت النظرية السلوكية على يد بلومفيلد الذي كان جادا في تطبيقها ومتهيئا لنتائجها وانعكاساتها على وصف بنية النظام اللساني و تفسيرها آليا، فالدراسة البنيوية كما أكد بلومفيلد هي دراسة شاملة للغة تتناولها من جوانبها كافة حيث يؤكد أن الدراسات اللسانية السابقة للدراسات البنيوية هي دراسات ضالة غير مبنية على أسس علمية صحيحة.
واللغة بالنسبة له هي سلوك فيزيولوجي اتجاه مثيرات خارجية. ولقد اتبع و أتباعه المنهج الوصفي و أصبح طريقهم الوحيد في البحث اللغوي,حيث قام بتطبيقه على بعض اللغات الانجليزية وعليه فقد تبلورت البنيوية الأمريكية المنهج الوصفي للغة ونقصد به وصف اللغة في حقبة زمنية محددة دون معايير مسبقة، فلا لغة أجمل من لغة أخرى،ولا لهجة أقوى من لهجة أخرى. كما تميزت البنيوية بالإصرار على الصيغة الموضوعية للدراسة و بإخضاع مادة الدرس للفحص المخبري، و بتلك تكون البنية قد سايرت الموجة الموضوعية التي سادت معظم الحقول المعرفية في النصف الأول من القرن الحالي، وتطرفت كما تطرف غيرها. [1]

[1] محمد بلقاسم، النقد الأدبي، المرجع نفسه، ص152 .

ومما سبق يتضح لنا أن فلاسفة الدراسات اللغوية البنيوية أخذوا يتوجهون نحو تفتيت البنية و تمزيقها إربا إربا فتكونت مدارس مختلفة و اتجاهات متباينة، كما ذهب "همسليف" يحاول رأب الصدع في الفكر البنيوي يقول: "إن المقصود باللغويات البنيوية هو مجموع الأبحاث التي تستند إلى فرد واحد مؤداه أنه من المشروع علميا وصف اللغة باعتبارها أولا و بالذات كيانا مستقلا من العلاقات الباطنية التي يتوقف بعضها على البعض الآخر، أعني بكلمة واحدة "بنية". [1]

وتواصلت بعد هذا جهود علماء اللسانيات و تطورت الدراسات اللغوية تطورا كبيرا مع اسهامات الروس الثلاث الذي يشمل: "جاكبسون-jackobson-" و" تروبتسكوي-troubetskoy-" و "كارسيكيج-karceuskg-" و كذلك اسهام الفرنسي "اميل بنفنيست-emile benveniste-" والأمريكي بلومفيلد-bloomfield-" إضافة إلى علماء آخرين مشهورين مثل:تشومسكي-chomisky-" و هلمسليف-hielmselv-" كل هؤلاء و غيرهم نستطيع أن نلخص مجهوداتهم في النقاط التالية مع التفاوت طبعا:

أ - إدخال كلمة مفهوم النسق (حيث تكف الحدود على أن تظل كيانات معزولة، و يتم النظر إليها كعناصر مترابطة لكل مبنى).

ب- التمييز بين التعاقب و التزامن الذي يعبر عنه سوسير بنقيضه في حين تعرضه المدرستان الألسنيتان البنيويتان اللاحقتان كأولوية للتزامن و التعاقب.[2]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها و تطورها و أبرز أعلامها، المرجع السابق، ص 172 .
[2] عمر مهيبل،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص27 .

ج- الانتقال من المستوى القصدي للأفراد الناطقين إلى أن تهيمن عليه قوانين النسق,فعقلانية النسق الألسني هي عقلانية غير قصدية.

د- التحليل التزامني (البنيوي) للظواهر مهمة خاصة للألسنية و بالتالي فان الأسبقية على الدراسة التعاقبية (التكوينية أو التاريخية) وعليه أن يسبق هذه كما عليه أن يسبق تحليل التأثيرات الخارجية التي يمكن أن تمر بها الظواهر المذكورة.[1]

2 -المدرسة الشكلانية :

تعد المدرسة الشكلية الروسية الرافد الثاني من روافد البنية بعد أن وضع دي سوسير حجرها الأساس,ولدت هذه المدرسة أثناء الحرب العالمية الأولى و لم تعرف في أوروبا و أمريكا إلا بعد أن نشر كتابان أساسيان الأول لفيكتور إديش " russid foundlism" والثاني هو "de la littérature théorie" وتألفت جماعة الشكلانيين الروس من مجموعة من الشباب الباحثين كانوا طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو ألفوا معا حلقة موسكو اللغوية عام 1915م، وكان على رأسهم "رومان جاكبسون"، وفي العام التالي تكون لهم جناح آخر بتأسيس عدد آخر من علماء اللغة و نقاد الأدب لجامعة أخرى عرفت باسم " opoyos" (أبوياز) وانتسبت هذه الحلقة لشعراء أيضا و بذلك ولدت الشكلية في هذين المركزين منها واعتبروا جميعا فيما بعد من أشهر رواد الفكر النقدي.[2]

[1] عمر مهيبل، المرجع نفسه، ص27 .
[2] محمد بلقاسم، النقد البنيوي، المرجع السابق، ص152 .

وكانت القوة المحركة لهذه الجماعة تنبع من الطاقة النظرية و العلمية الكبرى التي تنفجر من بعض الشخصيات الأساسية في التشكيل مثل شخصية "رومان جاكبسون" رئيس الحلقة اللغوية، كان مبدأ نوعية العلم و هو المبدأ المنظم للمنهج الشكلي. و لقد ركزت كل الجهود لوضع حد للوضعية السابقة حيث كان الأدب ولا يزال حسب عبارة "فيسيلوفسكي" أرضا لا مالك لها، إن الشكليين في افتراضهم على المناهج الأخرى أنكروا ليس تلك المناهج في ذاتها وإنما الخلط اللامسؤول فيها بين علوم مختلفة و قضايا علمية مختلفة، فمنطلق الشكلية الروسية هو الناقد الأدبي عليه أن يواجه آثار نفسها لا ظروفها الخارجية التي أدت إلى إنتاجها فالأدب نفسه هو موضوع علم الأدب، ولم يكتف زعماء الشكليين بذلك بل قصدوا إلى تحديد مجال الدراسة الأدبية برفض العلوم المجاورة لها على اعتبار أنها عوائق، مثل: علم النفس والاجتماع و التاريخ الثقافي.

و النقد الأدبي في روسيا كان بحاجة إلى منهج جديد، و لم تكن الحركة الفنية الشكلية قادرة على تقديم مثل هذه الصعوبة النظرية، فاتجه صوب علم اللغة، على أساس أن محو الدراسة في تلك الآونة هو الشعر الذي يتميز بأنه فن من الطراز الأول، و أصبحت مشاكل لغة الشعر في ميدان العمل المشترك بين النقاد المهتمين بالشكل اللغوي للشعر و بين علماء اللغة الذين كانوا في حاجة إلى مثل هذا التزاوج، و قطع الشكلانيون كل اتصال مع التاريخ ووجهوا دراستهم نحو اللسانيات لأنها علم يلامس الشعرية .

اعتمدت النظرية الشعرية عند الشكلانيين على مبدأين أساسيين هما:[1]

[1] محمد بلقاسم, المرجع نفسه, ص152 .

أ - التأكيد على الوحدة العضوية للشعر.

ب تصور العنصر المسيطر كخاصية تعد المحور المنظم للصياغة.

وعلى هذا فإن الشعر ليس مجرد زخرف خارجي يعتمد على الوزن و القافية و لكنه نوع متكامل من القول يختلف نوعا عن الشعر و يحتوي في داخله على مجموعة من القيم و القوانين التي تنتظم لصمته.

على أن العامل البنيوي المسيطر في بيت الشعر هو الذي يكيف و يعدل بقية العناصر,و يمارس بالتالي تأثيرا حاسما على جميع مستويات هذا الشعر الصوتية و الصرفية و الدلالية هي النموذج الخاص بالإيقاع، فإخفاء الإيقاع كعامل أساسي موجه في لغة الشعر بدوره إلى إختفاء خاصية الشعر الأساسية مما يبرر بوضوح دور البناء في تكوين البيت الشعري، و من خواص الشعر التي تميزه عن النثر القديمة الدلالية للكلمة في الشعر طبقا للوضع الذي تحتله في نطاق النظم والوحدات الشعرية الأخرى المرتبطة بها بروابط أوثق وأقوى من روابط المقال العادي.

فالكلمة الشعرية يتم تلقيها ككلمة، وليس كمجرد تمثيل لموضوع مدلول عليه أو تفجير لشحنة عاطفية، وبهذا فإن الكلمات بتركيبها و معانيها و شكلها الخارجي و الداخلي معا، تكتسب ثقلا و قيمة في الشعر. [1]

[1] محمد بلقاسم، المرجع نفسه، ص153 .

3 -حلقة براغ :

لقد نشأت مدرسة براغ اللغوية كغيرها من المدارس اللسانية في شهر أكتوبر سنة 1926م، و امتد نشاطها الفكري إلى غاية الحرب العالمية الثانية،[1]وإن كان زعيم هذه الحركة هو "ماتياس" فإن المحرك الأساسي لها هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية "جاكبسون" الذي تنقل بين روسيا و براغ و السويد و الولايات المتحدة الأمريكية، فأين ما حل بشر بأرائه و كان له دور فعال في نشر الوعي بالنظرية الجديدة و ترسيخها في أوساط المثقفين، و جعل يطبق بعض مبادىء المدرسة الشكلية على الشعر التشيكوسلوفاكي، مما أدت بنجاح هائل في حلها، و قد التقت أفكاره عندئذ بأفكار المجموعة المحلية خاصة و الأوروبية عامة في وجوب تعميق الدراسة الأفقية الوصفية للغة الرأسية التاريخية.

التقط علماء حلقة براغ مشغل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صب زيته و نسجت الشكلية خيوطه و أخذوا يتحدثون بشكل صريح متماسك عن بنائية اللغة، فيقول أحد منظريهم: "يمكن تحديد البنيوية على أساس أنها التيار اللغوي الذي يعني بتحليل العلاقات بين العناصر المختلفة في لغة ما حيث يتم تصورها على أنها كل شامل تنظمه مستويات محددة" .

مع أن حلقة براغ قد اشتهرت في تاريخ اللغة بدراستها الصوتية الدقيقة إلا أن دراسات كثيرة من نصوصها الأساسية تشمل بحوثا في لغة الشعر، و من أهم معالمها:[2]

[1] حتفي بناصر، و آخرون، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2009م، ص 51 .
[2] محمد بلقاسم، النقد البنيوي، المرجع السابق، ص 154 .

- ✓ لا بد من وضع مبادىء وصف لغة الشعر من مراعاة طابعها الثابت و ذلك لتفادي خطأ شائع في الخلط الدائب بينها و بين لغة التواصل و التفاهم و الحديث العادية.
- ✓ من خواص اللغة الشعرية أنها تبرز عنصر الصراع و التعديل بدرجات متفاوتة و كلما اقتربت لغة الشعر من لغة التفاهم تعارضت مع التقاليد الشعرية و كلما تواطأت مع هذه التقاليد ابتعدت عن حيوية الخلق العفوي.
- ✓ إن المستويات المختلفة للشعر من صرفية و صوتية و نحوية و بلاغية ...الخ، ذات صلات حميمية فيما بينها إذ يستحيل عزل أحدهما عن سواه.
- ✓ تعبير القيم الصوتية في لغة الشعر هي نقطة الانطلاق في وصف البنية الشعرية.
- ✓ تتميز لغة الشعر بوضوح مراتب قيمها، و يعتبر الإيقاع هو المبدأ المنظم للعناصر الصوتية الأخرى، و هي بنية النغم و تشكيلات الحروف في مقامات مستقيمة.
- ✓ إن الوسيلة الوحيدة لدراسة مستويات لغة الشعر بطريقة فعالة تتمثل في رسم شبكة توازي أبنيتها المختلفة مثلا:فتأثر القافية لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي إنما نجده وثيق الصلة بالنظم الصرفية و النحوية...إلخ.
- ✓ المبدأ الأساسي في فن الشعر الذي يميزه عن أنظمة اللغة الأخرى فيه يرتكز لا على الدلالة وإنما على الرمز في نفسه على التغيير في ذاته.[1]

[1] محمد بلقاسم، المرجع نفسه، ص155 .

فالبنية هي أحد الأفكار الفلسفية التي سادت القارة الأوروبية في فترة ما بعد الحرب the post-war period. وقد قام فرديناند دي سوسير ferdinand de saussure عالم اللغة السويسري، بتطوير المنهج اللغوي البنيوي في وقت مبكر من القرن العشرين، و ظلت دراساته لا تلقي الاهتمام الكافي حتى الستينات من القرن العشرين حيث بدأت البنيوية تأخذ شكلا فكريا، و تحتل مكانتها في الفكر الأوروبي بين الأفكار الأخرى التي كانت سائدة هناك مثل الوجودية existententialism، و مذهب الظواهر phenomenology، و الماركسية(الإنسانية) marxism(humanist)، و كان ذلك بفضل أعمال مجموعة من المفكرين الفرنسيين-أصحاب البدع الفكرية في أوروبا منذ عصر النهضة و حتى الآن- أمثال رولان بارت roland barthes و لويس (لوي) ألتوسير louis althusser و ميشال فوكو michel foucault و جاك لاكان jacques la can و كلود ليفي ستراوس claude lévi strauss مما وضع البنيوية على خريطة الفكر.و جعلوا من البنيوية منهجا أو مشروعا علميا و أرادوا تطبيقه على الإنسان و معرفتنا بهذا الإنسان.

قام هؤلاء المفكرون بتطوير نظرية دي سوسير في البناءات اللغوية المجردة و طوروها إلى ما عرف باسم علم العلامات a science of signs يعتمد على الكلام parole.[1]

[1] إبراهيم، مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، المرجع السابق، ص99 .

و تقوم اللغة بدور فعال مهم في فكر بارت و فوكو و دريدا و لاكان و أيضا في أنثروبولوجية ليفي ستراوس التي قامت على البنيوية و التزم بها منهجا يتبعه لجعل المعطيات التجريبية حول مؤسسات القرابة و الطوطمية و الأسطورة أقرب إلى الفهم من أي وقت مضى.

أما بقية رواد البنيوية الأوائل فهم: بارت الذي ربط بين منهج البنيوية و بين الدراسات الأدبية. و احتج ميشيل فوكو على وصفه بالبنيوي لأنه يفضل التحرك بحرية بين أشكال المعرفة و السلطة للبحث. و هذا لاكان الذي كان يفضل أن يتبعه الناس ولا يتبع هو أحد حاول تقديم فرويد من جديد. و دريدا الذي التحق بركب البنيوية متأخرا فارتبط اسمه بحركة "ما بعد البنيوية" .[1]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع نفسه، ص100 .

ب ـ استيطان البنية في مختلف العلوم :

إن المشترك بين العلوم الإنسانية أيضا استعمالها لمفهوم "البنية" الذي توغل في فروع المسماة "بالعلوم الإنسانية" و ذلك في صورة "اللسانية البنيوية" و مثال ذلك أن لاكان، وألتوسير، و فوكو، و ليفي ستراوس، ينقلون هذا المفهوم اللساني المحدد إلى مجالاته، وذلك لا يتم بدون تحويرات معينة،[1] وكل واحد من هؤلاء تختلف بنيته عن الآخر وهي كالتالي:

- **بنيوية ليفي ستروس :** " البنية الأنثروبولوجية " .

ولد ستروس سنة 1908م في بلجيكا لأبوين يهوديين و كان والده رساما درس في كلية الحقوق بجامعة باريس و حصل على ليسانس في الفلسفة على الرغم من كراهيته لها و نفوره منها- اشتغل بالتدريس من سنة 1932م و حتى سنة 1934م.عين أستاذا لعلم الاجتماع بجامعة ساوبولو بالبرازيل من سنة 1934م و حتى سنة 1937م.[2]

اهتمت أساسا الأنثروبولوجيا "anthropologie" الاجتماعية و الثقافية بالمجتمعات البدائية حيث لا يمكن فصل السياقات النفسية الاجتماعية عن البنيات اللغوية و الاقتصادية و القانونية، و من هنا تشديدنا على هذا العلم التركيبي و ذلك لتدارك إيجاز الملاحظات التي سبقت، بما أن كلود ليفي من جهة أخرى هو مجسد ذلك الاعتقاد بدوام الطبيعة الإنسانية .[3]

[1] أندريه نواراي، و آخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، تر أحمد خليل، دار طليعة، بيروت، ط1، 1988م، ص87 .
[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم،نقد المذاهب المعاصرة، المرجع السابق، ص101 .
[3] جان بياجيه، البنيوية، تر، عارف منينة، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م، ص82 .

فإن بنيويته الأنثروبولوجية تعرض ميزة مثالية و تشكل النموذج لا وظيفي و لا وراثي ولا تاريخي، بل الاستقرائي الأكثر دهشة الذي أمكن استعماله في علم إنساني تجريبي و لهذا السبب يقتضي منا تفحصا خاصا، بل بالفعل يبدو لنا غير معقول وجود صلة بين هذا المذهب للبنية كواقع أول لحياة الإنسان في المجتمع، و بنيوية الذكاء البنائية.[1]

ويعتبر البنية ذات طبيعة لا شعورية رمزية تمكن من رد الكثرة من المظاهر إلى "أنسقة" تكشف عن معنى إضفاء الإنسان عليها عبر حياته و مقارنة هذه الأنسقة أو البنى الفوقية ستكشف عن نظام صارم يحكها، إن مفهوم الإنسان لا بد أن يموت في عالم البنيوية و كما بدأ العالم بدون إنسان فسوف ينتهي بدونه أيضا.

لم تعمل (الإنسانية) إلا على بث الاضطراب للنظام الأصلي,إن موت الإنسانية يحمل في طياته إيمانا خفيا لإنسانية جديدة تقدم العالم على الحياة.[2]

فضلا عن العلوم الإنسانية يجب أن البيولوجيا المعاصرة صارت بنيوية في بعض ميادينها فقد استعان البيولوجيون الحاليون بتفسير قوانين الوراثة بمفهوم قانون التوالد ومفهوم الإعلام و كذلك الحال في علم تكون الأعضاء، حيث تفسر ظواهر التخلق (التخلق المحايد مثلا) بانتقال المعلومة تحملها هباءات (أ,د,ن) زد على ذلك أن الإناسة البنيوية تعرض التوافق التناظري بين بنى القرابة، اللغة و الجماعة، كأنه محكوم بنسق إبلاغي وحيد و ما يصنع إيلاف هذه الممارسات الإنسانية هو كونها منظومة تبادل:[3]

[1] جان بياجي، المرجع نفسه، ص82 .
[2] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، المرجع السابق، ص150 .
[3] أندريه نواريه، وآخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص89 .

(تبادل رسائل، ثروات، نساء في القرابة) وعليه يمكن لكل مجتمع أن يعبر عن نفسه من خلال بنية العائلة، كما يعبر عن نفسه من خلال اللغة، بحيث يمكن للنساء أن تكون الرسالة متبادلة بين الأفراد.[1]

وقد وجد ليفي ستراوس في علم اللغة البنيوي نوعا من الكشف الملهم، و توقع أن يحدث هذا الكشف ثورة تتجاوز علم اللغة إلى الأنثروبولوجيا، بل تمتد إلى كل العلوم الاجتماعية، و لخص هذا الكشف بقوله:

أولا: يتحول علم اللغة البنيوي من دراسة ظواهر لغوية واعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية.

ثانيا: لن يتعامل علم اللغة مع المسميات أو الكلمات بوصفها كيانات مستقلة بل يتعامل معها على أساس العلاقات التي تنظمها.

ثالثا: يطرح علم اللغة مفهوم النسق system فلا يزعم الفونيمات phonemes الحديث أن الفونيمات جانب من النسق فحسب، بل يظهر الأنساق الصوتية نفسها على نحو ملموس واضح البنية، وأخيرا:يهدف على اللغة البنيوي إلى الكشف عن قوانين كلية، سواء كان ذلك بالاستنباط أو الاستدلال، مما يعطي هذه القوانين صفة مطلقة.[2]

[1] أندريه نواريه، وآخرون، المرجع نفسه، ص89 .
[2] إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر، جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م، ص ص 39-40 .

يتضح مما سبق أن البنية عند ليفي ستراوس نوع من الابستيمولوجيا أو النظريات النقدية لكنها ليست "نظرية" أو "مجردة" فالبنية لديه ليست "واقعا" "تجريبيا" بل واقعا يقع أو يمكن وراء المعطيات المباشرة، و يقترب ستراوس هنا من "أفلاطون" و"كنط".

و قد استندت بنيته إلى التمايز بين المظهر و البنية أو بين الصورة و المضمون. و تكمن أصالة هذا التمايز في الطريقة التي تصور بها العلاقة القائمة بين الصورة و المضمون و من هنا تصير البنية نظرية في المعرفة.[1]

❖ **بنيوية جاك لاكان : "** البنية النفسية **" .**

ولد جاك لاكان في باريس في 13 أبريل 1901م، و اتجه في تعليمه نحو دراسة الطب، ثم تحول إلى دراسة " الطب العقلي "، وفي عام 1932م تقدم لاكان بدراسة علمية تحت عنوان: " ذهان البرانويا في علاقته الشخصية "، و قادته هذه الدراسة إلى دراسات سيجموند فرويد و تأثر به . [2]

قام جاك لاكان بجهود مضنية في مجال البنية و تحقق على يديه التقاء المنهج البنيوي بمنهج التحليل النفسي، و كشف لاكان عما بين لغة الشعور و بين الحلم من علاقات تكون بنيتها الخاصة، فالذات لا تصنع نفسها لأنها نتاج النظام الرمزي، و الوظيفة الرمزية هي العلة الكافية التي تحدد كل وجودنا، فكأنها هي البنية القصوى التي تتحكم في كل أنشطتنا.[3]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، المرجع السابق، ص 112 .
[2] المرجع نفسه، ص138 .
[3] المرجع نفسه، ص143 .

و عليه فإن فهم هذه البنية هو المدخل الحقيقي إلى فهم الذات الإنسانية في شعورها و لا شعورها. فالإنسان يتكلم لأن الرمز قد وجد منه "إنسانا" لأن النظام الرمزي ينشأ الذات لكي لا يلبث أن يقتادها إلى شباكه. فسر قوة الرمز تكمن في أن اللاشعور بنية تشبه بنية اللغة، و عن طريق الكلام يصير اللاشعور شعورا، و "يفهم" عبر عملية حل الشفرة، الخاصة ببنيته و من أهم بنية اللاشعور:الاستعارة و الكناية .[1]

و يرى لاكان أن اللاوعي ذو "بنية" هي بنية اللغة و ذلك ليس في شكل عام و إنما في كيفية متخصصة يجعلها التحليل النفسي "بنية" و عليه فإن ما يشكل وحدة المدرسة البنيانية هو في نفس الوقت ما يميز أعضائها المفترضين لأن كل عضو منهم يدعي الاستعمال في ميدان موضوعي متخصص لمفهوم واحد، يونيطه على هذا النحو بالسمات الجديدة التي تدمجه في ابستيمولوجيا خاصة بكل فرع علمي (...) فمفهوم الأنموذج و البنية يشيعان و ينزعان إلى الحلول في كل العلوم محل المفاهيم المعلومية القديمة (مجرد، عيني، نظري، اختباري، عقلاني، واقعي) و على هذا النحو تجري معلومية واحدة في الموسوعة كلها، ويحيط بكل العلوم نسق واسع من التواصلات و اللغات .[2]

❖ **بنيوية ألتوسير : "** البنية الماكسية **"** .

فالبنية عند ألتوسير "هي بنية السلطة" أو مرتبة من التشكل الاجتماعي لماركس فهو يعتبر أن البنية تلعب في الاقتصاد الدوري الرئيسي لتوزيع الأدوار على الأفراد[3]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع نفسه، ص144 .
[2] أندريه نواريه، و آخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص88 .
[3] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، المرجع السابق، ص232 .

و ليس المهم الاقتصاد للأفراد بل في المواقع و الأماكن. وجعل الواقع في نظر الماركسية بنيويا و ليس ديالكتيكيا حيث أعطى أهمية كبيرة للعلية البنيوية التي قال أنها تمثل مسألة خطيرة سيكون لها شأن في الدراسات الفلسفية خلال الفترة المقبلة من تاريخ الفكر المعاصر. و بعد أن كان الأقدمون يقولون: "في البدء كانت الكلمة (أو في البدء كان الفعل)"، أصبح ألتوسير يقول: "في البدء كانت البنية، أجل، فإن كل شيء بالبنية و في البنية " .[1]

ج- خصائص البنية :

بما أن البنية الهيئة أو الكيفية التي يوجد عليها الشيء، و كل ما هو أصيل و جوهري و ثابت لا يتبدل بتبدل الأوضاع و الكيفيات، ولها عدة خصائص تميزها عن غيرها و هي كالتالي:

_ التأكيد على النسق المعقول الثابت داخل كل بنية و على استقلاله الذاتي مما ينفي أي دور للتناقض الجدلي و بذلك انتصرت البنية العقلانية على حسا ب التاريخ.

_ البنية لا تهتم إلا بما هو واقعي و تستبعد كل ما هو معيش.

_ تستبعد البنية أي تدخل للشعور و لتفسير الظواهر.

_ توظيف الرمز بوصفه نظاما جديدا من أنظمة المعرفة.[2]

[1] زكريا إبراهيم، المرجع نفسه، ص232 .
[2] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص25 .

د- أسباب انهيار البنية :

مهما يتعالى الشيء أو المصطلح الفلسفي و يبلغ قيمة عظمى ويتوغل في جميع حقول المعرفة إلا أنه سوف يأتي يوم ويفقد هيمنته و سيطرته، و هذا ما سيحدث مع البنية و يجعلها تتعرض للانهيار نتيجة عدة أسباب، و يمكن أن نلخصها فيم

1)- تغير الأسلوب : انهارت البنية عام1967م، و لقد تم الأمر على الأمر التالي: بدأت بعض الشخصيات المهمة تبتعد عن الإطار الفكري البنيوي، و راحت تتعامل معه و كأنه ليس إطار جديا، و ربما كأنه لم يكن قط كذلك (...) و تغيرت نبرة الكتابة البنيوية الجديدة بسرعة كما تغير موقفها (...) و تزايدت صعوبة وضعها في علاقة مع الدراسات الأكاديمية العادية الموجودة إلى جانبها في الفرع ذاته .

2)- لعب لاكان : (...) هناك ثلاثة عناصر تركت أثرها على الفكر ما بعد البنية، أول هذه العناصر هو عداؤه للأنا الفرويدي الموحد، بالصورة التي رآها عليه فرويد و بوصفه عنصرا ضروريا بالتعامل مع الواقع الاجتماعي الذي ينبغي أن يتكيف معه . العنصر الثاني هو إلحاح لاكان على أولوية الدال في اللغة .

أما العنصر الثالث، ربما العنصر الأشد أثرا فهو طريقة لاكان المميزة في عرض أفكاره، التلميح الخاطف، و البلاغة المليئة بالألغاز، و التلاعب المتواصل بالألفاظ .[1]

[1] ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، تر، ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط 2، 2008م، ص169 .

3)- سجال دريدا : لماذا انهارت البنية؟ ماتت فجأة في عام 1967م، قتلها سجال رديء واحد أطلقه جاك دريدا، غير أن هذه الطريقة في وصف الحالة أو الطريقة هي طريقة ميلودرامية (...) قد أدرج دريدا هذا السجال في كتابه علم الكتابة، و هو كتاب عن علم خيالي للكتابة، ربما قصد منه هجاء السيميولوجيا و التهكم عليها، وهو يقول علميا أن سوسير الذي اعتبر أنه قدم بديلا بنيويا لميتافيزيقا الحضور البادية لدى فلاسفة مثل: هوسرل و هيدغر، يبدي هو نفسه هذه الميتافيزيقا ذاتها,و هذا سجال رديء لأنه يقوم على مزاعم زائفة فيما يتعلق بمعنى تفضيل سوسير الكلام عن الكتابة، لأنه يستند إلى تاريخية تقليد أسطوري تماما بشأن المركزية الصوتية.

دريدا قم بتقويض العلامة بفصل الدال عن المدلول (أي التخلص من الحضور الميتافيزيقي "المدلول") و عليه فإن أغلب أفكار دريدا هي استلهام من النص السوسيري نقدا و هدما، و هكذا كان الانتقال من عصر الكلام "سقراط" إلى عصر الكتابة "أفلاطون" .

4)- ما بعد البنيوية و العقلانية : إن مثل هذا الهجوم الذي خاضه فوكو بإصرار على مثل هذه الجبهة الواسعة من المباحث، علما أن كتابه الأخير الذي لم ينهه كان حول الجنس، يقوض مفهوم العقلانية ذاته، بل إن كتابه الأول عن الجنون يقوض على نحو معتمد تماما مفهوم السواء فيما يختص بالعقل، وأصبح واحدا من كلاسيكيات الحركةالمناهضة للطب النفسي (...).[1]

[1] ليونارد جاكسون، المرجع نفسه، ص175 .

و هجومات دريدا الفلسفية المحضة على تلك الأوجه من ميتافيزيقا الحضور كلية الوجود التي يدعوها تمركزا على العقل ادعوها عقلانية (...) و يجعل العقلانية أثر للقوة، أو يهز أفكارنا العامة حول ما هو عقلاني دون أن يضع أي شيء آخر مكانها، و لو أن ما بعد البنيوية اقتصرت على هذا لما كانت قد حققت مثل هذا الصيت بل لكانت عندئذ معلما من معالم الجذر و التدقيق في البحث وما كانت لتحمل قط سمياء التناقض و المفارقة الفكرية الجائرة (...) غير أن ما بعد البنيوية لم تقتصر على ذلك بل تعدته إلى ما هو أكثر منه و من التلاعب اللاكاني بالألفاظ، ذلك أن ثمة تلاعبا بالأفكار أيضا، فدريدا على سبيل المثال لا يقنع بتقديم سجالات ضد مواقف يرغب في أن يضعها موضع المساءلة .

و من سوء الحظ أن البنيوية و ما بعد البنيوية قد صدرتا في إنجلترا و أمريكا (...) فهما مختلفتان تماما في الطابع وتقتضيان استجابتين مختلفتين تماما. البنيوية كانت إستراتيجية بحث مميزة و هامة، و هي لا تزال مستمرة على نحو ما في بعض البحوث العلمية الحديثة الواعدة جدا في الألسنية و الذكاء الاصطناعي و يمكن لها على هذا الأساس أن تكون مفيدة في تقديم نظريات موضوعية في الأدب غير أنها تبقى قائمة على نموذج ألسني قاصر يعاني مما ادعوه " بؤسا منطقيا " (...) أما ما بعد البنيويات الكثيرة فتبدو فقاعات من الصابون مناهضة للميتافيزيقا بشعارات سياسية منقوشة عليها.[1]

[1] ليونارد جاكسون، المرجع نفسه، ص178 .

خلاصة:

و مجمل القول إن البنية فلسفة تقوم على الاهتمام بأمر الصورة و النموذج في أي نوع من أنواع المعرفة أي أنها لا تهتم بأجزاء الظاهرة المدروسة وإنما بالعلاقات القائمة ببعضها البعض مما ينشأ فيما بينها لحمة من التناسق و الترابط الذاتي و يشكل ارتباطها ببعضها البعض مفهوم الكلية، أي هي مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها. إن العنصر الواحد لا قيمة له إلا في إطار العلاقات التي تجمعه بباقي العناصر الموجودة معه في السياق نفسه.

الفصل الثاني:

اللسانيات عند دي سوسير

المبحث الأول : نبذة عن حياة دي سوسير

المبحث الثاني :غرض اللسانيات و علاقتها باللغة

قال ج. غوسدورف:

" اللغة تقدم كلمة السر لدخول العالم الإنساني "

محمود اليعقوبي،المختار من النصوص الفلسفية، دارالكتاب الحديث، القاهرة،ط1،2005م، ص175.

تمهيد:

إن الحديث عن اللغة بدأ في عصور ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، و لكن كان في شكل تأملات فلسفية حول نشأة اللغة، وأسبقية اللغة أو الفكر، و العلاقة بين الدال و المدلول، وأقسام الكلام...الخ، أما الدراسات اللغوية التي تبنت مناهج علمية، فقد ظهرت في العالم الغربي في أواخر القرن 19م، و يلاحظ المتتبع لتطور الفكر اللغوي أن هناك علاقة وطيدة بين القدماء و المعاصرين، وأن هناك مسائل عالجها الأوائل بطريقة وصفية موضوعية و استفاد منها علماء اللغة في العصر الحديث، و اللسانيات كباقي العلوم الأخرى تنهل من منابع الدراسات القديمة و هذا ما تلاحظه عند بعض الباحثين المحدثين الذين كتبوا في اللسانيات و طوروا مناهجها، و كما هو شائع بين أوساط الدارسين للغة فإن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة أي أنها علم استقرائي موضوعي تجريبي و منهجي (يقوم على الملاحظات، الفرضيات والتجارب، و المسلمات) ويعنى بالحقائق اللغوية القابلة للاختبار و بالمبادئ الثابتة. و عليه من هو فردينا ندي سوسير؟، و ما هي أهم إنجازاته؟،و ما مفهوم اللسانيات؟، و فيما تتمثل علاقتها باللغة؟.

المبحث الأول : نبذة عن حياة دي سوسير.

الفلسفة شجرة كبيرة و لها عدة فروع و عدة أبناء أي فلاسفة وكل فيلسوف مر بحياة مختلفة عن الآخر و ترعرع في أجواء مختلفة عن غيره، و دي سوسير أحد الأبناء الذي ولد في المرحلة المعاصرة و كان من أبرز الفلاسفة اللغويين، فمن هو؟ وما الذي قام به ؟ .

1)- حياته :

ولد فردينا دي سوسير في جنيف بسويسرا في 17-11-1857 و قد انحدر من عائلة فرنسية بروتستانية هاجرت من لوزان خلال الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن 16م إلى سويسرا وشاءت الأقدار أن يولد هذا الرجل بعد عام واحد من مولد سيغموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث و قبل عام واحد من ميلاد ايمايل دور كايم مؤسس علم الاجتماع الحديث، فكان لهذا الثلاثي شأن كبير في توجيه مسار العلوم الإنسانية و إحداث ثورة كريرتيكية على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية .

و بعدها تلقى التعليم الأولي في جنيف,انتقل دي سوسير إلى برلين لمزاولة دراسته و مكث هناك من 1876م-إلى 1878م يدرس اللسانيات التاريخية و المقارنة و على الرغم من أنه تتلمذ على يدي بعض النحات الجدد "كلوستف و سيكين " فإنه خالفهم في تصورهم العام و رفض نظريتهم الضيقة للسانيات.[1]

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2007م، ص118 .

و من بين 1880م-1891م أقام بباريس و تولى خلال هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا و في الوقت نفسه كان يحاضر هناك لجموع الطلبة في اللسانيات التاريخية و المقارنة .[1]

و في عام 1891م رجع إلى مسقط رأسه و استقر هناك يدرس في جامعة جنيف، و في جنيف تزوج من ماري فايش و أنجب منها ولدين جاك (1892-1969) و ريمون (1894-1971).[2]

قضى جل حياته في دراسات اللسانيات التاريخية و تدريسها و لم يدرس اللسانيات الآنية و اللسان العام الذين اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته و بدون منازع، و يعد هذا المفكر السويسري اليوم أب اللسانيات الحديثة و مؤسس المنهج الآني و أول منظر لكل من البنيوية و السيمياء .[3]

و قد استطاع سوسير أن يلقي الضوء على نسيج النشاط اللغوي لدى البشر و الذي تتشابك فيه عوامل متباينة و عناصر شتى منها: البيولوجية و الفيزيقية و السيكولوجية و الاجتماعية و التاريخية و الجمالية و العلمية...إلى غير ذلك و عقد سوسير عدة تمايزات أولية بين اللغة و الكلام و بين اللغويات الداخلية و اللغويات الخارجية و بين اللغة التزامنية أو التواقتية و بين اللغة المتطورة أو التعاقبية .[4]

[1] أحمد مومن، المرجع نفس، ص 118 .
[2] ميشال أريفيه، البحث في فردينا ندي سوسير، تر، محمد خير محمود البقاعي، دار أفاق العربية، بغداد، ط 1، 2009م، ص57 .
[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، المرجع السابق، ص118 .
[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها، لمرجع السابق، ص176 .

و بالإضافة إلى ذلك فإن لسوسير الفضل في كونه أتى بعمل مرموق للغاية لا سيما سيعة الآفاق التي فتحها للباحثين على اختلاف جنسياتهم و اختصاصاتهم أما عبقريته الفريدة فتظهر جلية في الآراء التي تبدو حتى الآن منطقية إلى حد أنها لا تدعوا إلى أية برهنة و من باب الإنصاف فإن آراء سوسير اللسانية كثيرا ما تلتقي بتلك التي كانت موجودة في العالم الغربي و منذ العهد اليوناني لكنه أضفى عليها طابع الوضوح و أخرجها في شكل ثنائي كما وضعها في نظام منسق لا تقل دقته عن دقة الأسلوب التركيزي الذي يعود أساسا إلى خاصية تعليمه الشفهي,و إن أعظم تقدير يمكن توجيهه إلى أصالة و قوة تفكير هذا العالم في أبسط ملاحظة لا زالت صالحة إلى يومنا هذا و هي أن اللسانيين بذلوا و يبذلون قصارى جهدهم في مناقشة أفكارهم إما عن طريق تبنيها كاملة و إما عن طريق إدخال تعديلات عليها و تطويرها لتبقى حالية أو رفضها بعد الانطلاق منها و في كلتا الحالتين يبقى سوسير هو الملهم المباشر و الغير المباشر لجل الباحثين و تبقى أفكاره هي المورد الرئيسي لهم و قلما نجد رجلا مثله تعدى عطائه الحدود و الاختصاصات و ملىء بفكره الدنيا وشغل الناس و كان له في كل أمر شأن و بؤس .[1][2]

و لقد صار من البديهي القول بأن العلم اللغوي السويسري دي سوسير يعد المؤسس الحقيقي للبنيوية و بخاصة من خلال كتابه العام: " دروس في الألسنية العامة " الذي صدر سنة 1916م.[3]

[1]

[2] الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، المرجع السابق، ص62 .

[3] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص26 .

و لقد بلغ قيمة علمية كبيرة لا تضاهيها أية قيمة أخرى في اللسانيات الحديثة قبل هذا العصر فقد ساعد على تحديد مجرى اللسانيات القرن 20م و الابتعاد بها كليا عن مناهج اللسانيات التاريخية .

و من بين الأمور التي اشتهر بها دي سوسير استخدامه لظاهرة ملفتة الانتباه تمثلت في ما يسمى بالثنائيات و من الممكن جدا أن يكون هذا الرجل قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر و قد ظهرت هذه الفكرة من قبل عند أرسطو و ديكارت و استعملها سوسير من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية، و بالإضافة إلى هذا فقد أكد على أهمية دراسة الكلام عوض النصوص المكتوبة و على تحليل النظام الباطني للغة بدلا من المقارنات المعجمية و النحوية و على وضع اللغة في وسطها الاجتماعي بدلا من النظر إليها بوصفها جملة من السيمات الفيزيائية و بشكل عام فقد تطرق سوسير إلى عدة مسائل نظرية لا يمكن للدارس المبتدأ الاستغناء عنها أبدا.[1]

و لم تكن أفكار سوسير في كتابه الشهير جديدة كل الجدة، و إنما كان قد تأثر في بعضها بأفكار النحاة الجدد في جامعة لايبزغ، مثلما تأثر باللغوي الأمريكي وتني فمما لا شك فيه و لا ريب أنه اطلع على أعمال بودوان دي كورتني، و من دلائل هذا الاطلاع ما أورده في محاضراته تلك من أحاديث حول الفونيم (و هي وحدة النظام الصوتي) و كلامه هذا تأثر فيه بآراء بودوان إلى جانب تأثره بكلامه عن الفردي و الاجتماعي في اللغة.[2]

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، المرجع السابق، ص121 .
[2] ابراهيم محمود خليل، في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2007م، ص15 .

أما كلامه على العلامة اللغوية، فقد تأثر فيه دون أدنى شك بما أورده وتني من أرائه في كتابه الموسوم بعنوان "حياة اللغة و نموها" و كان هذا الكتاب قد ترجم إلى الفرنسية، و اطلع عليه سوسير اطلاعا جيدا، و أفاد منه فائدة كبيرة، مثلما أفاد من اطلاعه على مصنفات عالم الاجتماعي الفرنسي إميل دور كهايم. و قد ذكر سوسير اسم وتني في ثلاثة مواضع من كتابه.. أما عن تأثره بدور كهايم فيتضح بجلاء من خلال كلامه على الاجتماعي و الفردي في اللغة.[1]

كان سوسير واحدا من أعظم الباحثين السابقين في جميع العصور,إن شخصيته القوية و موهبته اللسانية الأصيلة، و نزوعه الفائق إلى جانب البحث النظري، و التأثير الذي مارسه على طلابه. كل أولئك لم يجعل منه مؤسسا لمدرسة مهمة (هي ما يسمى بمدرسة جنيف) بل مؤسسا لعصر بأكمله من الدرس اللساني : لقد كانت أفكاره التي طرحها بطريقة مبنية و مقنعة لأول مرة هي الجذور التي نبتت منها اللسانيات البنيوية الحديثة .[2]

2)- مؤلفاته :

في الواحد و العشرين من عمره نشر دي سوسير مؤلفه الأول الذي جلب له شهرة عالمية عندما كان طالب في ألمانيا بعنوان الدراسة حول النظام البدائي للصواتث في اللغات الهندية الأوروبية و يعد هذا العمل من المعالم اللسانية التاريخية التي ساعدت على إعادة بناء اللغة الهندية الأوروبية الأولى .[3]

[1] ابراهيم محمود خليل، المرجع نفسه، ص15 .
[2] مليكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر، سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد،المجلس الأعلى للثقافة، د ب، ط 2، 2000م، ص211 .
[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، دار الكتب الحديث، عمان، ط 1، 2009م، ص73 .

و يتمثل مؤلفه الثاني في الأطروحة التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه حول :حالة الجر المطلق في السنسكريتية 1881م .

أما مؤلفه الشهير فقد صدر بعد موته بثلاثة سنوات :أي سنة (1916م) بعنوان محاضرات في اللسانيات العامة و لم يكن هذا الكتاب ليرى النور لو لم يقم شارل بالي و آلبر سيشهاي الصديقان الحميمان لدى سوسير بجمع محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في جامعة جنيف بين 1906م-1911م ثم تصنيفها و تبويبها و نشرها في الشكل الذي نعرفه اليوم.[1]

حيث يعتبر هذا الكتاب مصدر مهم للإطلاع على مقاصد الرؤية السوسيرية للغة و يتألف هذا الكتاب من خمسة أجزاء :

الجزء الأول : طبيعة العلامة و الفرق بين اللسانيات الآنية (التزامنية واللسانيات التعاقبية).

الجزء الثاني : يبحث عن اللسانيات التزامنية .

الجزء الثالث : يدرس التغيرات الصوتية .

الجزء الرابع : اللسانيات الجغرافية .

الجزء الخامس :يتناول قضايا اللغة الأكثر قدما و علاقة اللغة بالأنثروبولوجيا .[2]

[1] نعمان بوقرة، المرجع نفسه، ص73 .

[2]

3)- وفاته :

توفي دي سوسير بجينف سنة 1913م عن عمر يناهز 56 عاما نتيجة سرطان أصابه في حلقه .وافته المنية قبل أن ينجز مشروعه الذي كان ينوي القيام به,و هو تسجيل أفكاره و ملاحظاته التجديدية الثائرة في اللسانيات .

حيث لم تكن لديه من المؤلفات سوى أطروحته و مقالته و بعض مقالات في النحو المقارن جمعها و نشرها " بنفنيست " عام 1964م في كراريس فردينا ن دي سوسير .

و على الرغم من أنها نشرت في ظروف خاصة سرعان ما أصبحت مفتاح التأملات حول اللغة وصارت عنصر الهام أساسي لكل الأعمال اللسانية التي انطلقت منذ أواخر الثلث الأول من القرن العشرين .[1]

مات دي سوسير و لكن ترك خلفه إرثا عظيما في مجال علم اللغة خاصة و في الفلسفة عامة، و هو مازال حيا في العقول بفضل ما أنجزه في ميدان العلم و الفلسفة .

[1] عبلة شريفي، جهود فردينا ندي سوسير في علم الدلالة، جامعة قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2011م، ص13 .

المبحث الثاني : غرض اللسانيات و علاقتها باللغة .

غرض اللسانيات من اللغة هو دراستها بطريقة منطقية تسير وفق بنية . و يمكن تعريف علم اللسانيات كما يلي :

1)- مفهوم اللسانيات :

لقد جسدت اللسانيات المرحلة الرابعة من تطور علم اللغة، بعد النحو و المنطق و فقه اللغة المقارن، و يعتبر دي سوسير مؤسس هذا العلم الذي نشر تلاميذته محاضراته.[1]

و بذلك أصبح من التقليدي القول بأن دي سوسير هو أب اللسانيات الحديثة و بفضله غدت دراسة اللغة تتم وفق منهج علمي وصفي آلي يتوخى الشمول و الدقة و عدم التناقض، و في هذا السياق يؤكد " جون ليوتز " أن عددا كبيرا من المدارس في ميدان اللسانيات خاضعة للتأثر المباشر و غير المباشر بدروس سوسير.[2]

و ينهي سوسير دروسه بإثبات أن موضوع اللسانيات الوحيد و الحقيقي هو اللغة و اعتبارها بذاتها و لذاتها فهي الدراسة العلمية للغة كما هو شائع بين أواسط الدارسين للغة.[3]

و بالإضافة إلى هذا يقول سوسير عن اللسانيات بأنها فرع من السيمياء أي علم العلامات العام الذي يدرس الأنظمة المختلفة للأعراف التي بدورها تمكن الأعمال البشرية [4]

[1] زواوي باغورة، الفلسفة و اللغة، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2005م، ص131 .
[2] حنفي بناصر، و آخرون، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية،المرجع السابق، ص 52 .
[3] الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، المرجع السابق، ص 133 .
[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، المرجع السابق، ص121 .

من أن يكون لها معنى و تصير في عداد العلامات و بهذا يمكن للسانيات أن تكون نموذجا حيا للسيمياء .[1]

و اللسان هو نظام مسجل في الذاكرة المشتركة يمكن من إنتاج لفيظات لا متناهية و فهمها.[2]

ميز سوسير في إطارين مختلفين للدراسة اللسانية هما:

اللسانيات الداخلية و اللسانيات الخارجية، فإذا كانت الأولى معنية بدراسة اللغة من حيث هي نظام قائم بذاته و ما عليه منطق نظامها الداخلي فإن الثانية معنية بالبحث في علاقة اللغة بالجنس البشري و تأثير التاريخ السياسي في اللغة و علاقة الثقافة بالنظم الاجتماعية باللغة .[3]

كما أن مادة اللسانيات لها أهمية كونها تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء تعلق الأمر بالشعوب البدائية أو الحضارية أو بالعصور القديمة أو بعصور الانحطاط و فيما يخص مهمة اللسانيات فهي :

أ)- تقديم وصف لجميع اللغات و تاريخها بالإضافة إلى سرد تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل منها كما أمكن ذلك .[4]

[1] أحمد مومن، المرجع نفسه، ص121 .
[2] روبير ماركان، مدخل لفهم اللسانيات، تر، عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2007م، ص65 .
[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، المرجع السابق، ص 80 .
[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، المرجع السابق، ص122 .

ب)- تحديد القوة الكامنة المؤثرة بطريقة مستمرة و شاملة لكافة اللغات و استخلاص القوانين العامة التي تتحكم بكل الظواهر التاريخية الخاصة .

ج)- تحديد نفسها و التعريف بها .

على الرغم من تأثر دي سوسير بعلم الاجتماع و علم النفس, الاقتصاد السياسي فقد جعل اللسانيات علما مستقلا بذاته، يدرس علم اللغة دراسة وصفية بحثة تختلف تماما عن كل الدراسات السالفة و من هذا المنطلق كانت آخر جملة في كتابه : "إن موضوع اللسانيات الصحيح و الوحيد هو اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها " .[1]

2)- مفهوم اللغة :

من خلال كتابه الشهير : " دروس في الألسنية العامة " قام بدراسة علمية مستفيضة فصل فيها بين اللغة و الكلام بحيث تصبح اللغة " نظاما من العلامات أو مجموعة من الأنظمة المترابطة فيما بينها " . و اللغة بالمفهوم السوسيري هي مؤسسة اجتماعية قائمة على عقد عرضي واسع بين أفراد المجتمع اللغوي .[2]

و كنز مودع عن طريق ممارسة اللفظ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى المجموعة الواحدة و هو نظام نحوي يوجد بالقوة في كل دماغ و على نحو أدق في أدمغة مجموعة من الأفراد .[3]

[1] أحمد مومن، المرجع نفسه، ص123 .
[2] بلمليانى بن عمر,،تراث ابن جني اللغوي و الدرس اللساني الحديث: دي سوسير نموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص59 .
[3] يحيى الدين محسب، اللغة والفكر والعلم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 30 .

و من الواضح أن سوسير يعتبر اللغة نسقا ذهنيا يختزنه أعضاء المجتمع اللغوي الواحد في أدمغته في صورة نظام نحوي يقول : " اللغة نظام من الدلائل تعبر عما للإنسان من أفكار " .[1]

اللغة منظومة من العلامات و ما هي إلا مستودع من الصور السمعية تمثل كتابة وشكلا محسوسا لها وأنها مرنة قابلة لتصنيفها بين الوقائع البشرية عل عكس اللسان المتعذر تصنيفه في هذا المجال فإنه يحددها مرة أخرى كونها منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما .[2]

كما أن لها أداة لكل ما هو دال و مدلول و لكل معرفة واضحة, و لكنها في الوقت نفسه مجال للمعرفة تتمتع بقوانينها و بنياتها و شروط تواجدها و هذا يعني بأن اللغة يمكن أن تكون موضوع علمي قائم بذاته و لا تحتاج إلى أي عنصر خارجي لتحديدها .حيث عرفها بقوله : "اللغة نظام لا يعرف إلا نظامه الخاص به " أي نظام يتألف من بنى صوتية ومعجمية (ألفاظ) و تراكيب (جمل) و دلالات (معاني) و باعتبارها نظاما قائما بذاته، و مفهوم النظام هو المقدمة الأولى لمفهوم البنية .[3]

[1] يحيى الدين محسب، المرجع نفسه، ص30 .
[2] عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانية دي سوسيرية، دار الغرب، الجزائر،د ط، 2005م، ص8 .
[3] زواوي باغورة، الفلسفة و اللغة، المرجع السابق، ص133 .

و ترتبط الخصائص العامة للغة أساسا بعاملين كبيرين: فكل لغة هي نظام من الأدلة، و كل لغة تتحقق في إطار اجتماعي يحدد وظيفتها و تطورها.[1]

أ)- البنية اللغوية :

يقول دي سوسير : " فقيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تأتي من مكانتها في هذا الكل أو ذاك و لهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء و الكل كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها " .[2]

فالبنية اللغوية ليست تجميعا ولا تشييد قطعة بعد أخرى فهي موجودة كلا لا يتجزأ، حيث شبه سوسير بنية اللغة بالبناية فعندما نقول أن البناية عبارة عن بنية، و ربما لو رفعنا حجرا واحدا لم يسقط الصرح برمته فورا، لكن حدث تغيير في الهيكلة حين قيامنا بالرفع و بذلك ستبدأ بالشروخ و الظهور لأن الحجر الواحد يحتاج إلى حجر آخر يستند عليه و بهذا المعنى نجد كل بناية متفردة و لا نجد بنايتان لهما البنية نفسها. و التغيير في بنية واحدة من البنايات يؤثر في تلك البناية و حدها و لا يؤثر في غيرها. بالإضافة إلى هذا هناك تشبيه آخر حيث نجد سوسير مولعا باستخدامه ألا و هو مسألة الألعاب كلعبة " الشطرنج " و هي لعبة متكاملة في حد ذاتها و أن هذا الكمال هو الذي يمنح القطع المتفردة أدوارها المستقلة لكنها معتمدة على بعضها البعض .[3]

[1] جان بيرو، اللسانيات، تر، الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الأفاق، الجزائر، د ط، 2001م، ص114 .
[2] عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانية دي سوسيرية،المرجع السابق، ص33 .
[3] روي هاريس، وآخرون، أعلام الفكر اللغوي: التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، تر، أحمد شاكر الكيلالي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط 1، 2004م، ص295 .

فهو يقوم بالمقارنة الآتية :(فمرورها من إيران إلى أوروبا أمر خارجي أما الداخلي فهو كل ما تعلق بنظامها و قواعدها فإن غيرت قطع اللوح بقطع عاجية فلا شيء يطرأ على النظام و لكن إن قمت بزيادة أو نقصان في عدد القطع فإن هذا يؤثر بعمق في نحو اللعبة).[1]

كما يرى دي سوسير أنه ليس هناك إشارة لغوية خارج السياق اللغوي و هكذا فمفهوم سوسير عن اللغة كلي بشكل أساسي و لا وجود للأجزاء المكونة بشكل مستقل عن ذلك الكل .

ولقد تصور أن اللغة كونها في آن واحد بنية للعمليات الذهنية لدى الأفراد الذين يستعملونها و كذلك بنية للعمليات التواصلية التي بواسطتها يؤدي مجتمع ما وظيفته كونه كيانا حضاريا لذلك فإن اللغة تأتي على درجة تفوق المستوى الفردي بشكل مطلق بمعنى أنها مودعة في المجتمع و تعتمد في وجودها على العلاقات الاجتماعية الخارجية, يقول سوسير : "اللغة لا تكمل في أي فرد وحده و لكنها توجد لدى الجماعة بدرجة الكمال " .[2]

و يؤكد كذلك في نصوصه : " أن كل لغة إنما تنحت الواقع اللساني بطريقتها الخاصة " أو " أنها تسقط على الأشياء نظامها الخاص " .[3]

[1] الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، المرجع السابق، ص78 .
[2] روي هاريس، و آخرون، أعلام الفكر اللغوي: التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، المرجع السابق، ص261 .
[3] عبد الوهاب جعفر، الفلسفة و اللغة، دار الوفاء، القاهرة، ط 2، 2004م، ص27 .

و هكذا يكمن مجهود سوسير في تبيان أن نظام اللغة الأعقد قائم بكامله و موجود بكليته في التنظيم الأبسط، ليس النظام اللغوي مربكة مكونة من قطع أجزاء يمكننا جردها جردا بلا نظام، أن العناصر و نظامها تكشف في وحدة مسار واحد و فارد .[1]

ب)- النحو عند دي سوسير :

إن التراكيب و الجمل التي ننشئها في حديثنا ينطبق عليها ما سماه سوسير " اللغة " باعتبار النظام الذهني الذي يحكم هذه التراكيب " الكلام " باعتبار الجانب النطقي المسموع الذي تظهر به هذه التراكيب، فنحن لا نتكلم إلا منطلقين من نظام لغوي ذهني .

في هذا النظام تقوم العلاقات بين الكلمات، و هذا النظام هو الذي يفرض موقع الكلمة، و هو الذي يفرض المعنى المناسب لهذه اللفظة أو تلك، من المعاني التي تحتملها. هذا " النظام " هو الوجه الأول من وجهي اللغة في تقسيم سوسير و ما ينبثق عنه هذا النظام التصوري هو " الكلام " و هو الوجه الثاني في التقسيم المذكور، و " النحو" كسائر فروع اللغة هو نسق عضوي منظم من العلاقات . فما كان منها منطوقا فهو " دال " و ما كان تمثيلا ذهنيا أو تصورا فهو " مدلول "، و يلتئم هذان الوجهان في تكوين العلامة التي تدل على أمر آخر غيرها و حتى أوضح موقع المفاهيم النحوية من هذا التقسيم (...) فالمصطلح النحوي علامة مكونة من جانبين، أحدهما منطوق المصطلح و لفظه .[2]

[1] أندريه نواريه، و آخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص166 .
[2] سمير شريف إستيتية، اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، ط 1، 2005م، ص 162.

و الآخر هو مضمونه، أي المفهوم الذي يشير إليه لفظ المصطلح. هذا عندما ننظر إلى المصطلح النحوي و مضمونه، باعتبارهما جزءا من الدرس النحوي .

رغم أن ثمة علاقة أخرى بين المصطلح النحوي برمته، و صورته التي يتحقق بها في الكلام ، فعندما نقول : " الكتاب الجديد " فإننا نعرف أن كلمة (الكتاب) وقعت في موقع معين من الجملة هذا الموقع هو "الابتداء" و لا تقع الكلمة في هذا الموقع إلا بشروط هي: الاسمية، و التعريف، و التقدم، والإسناد و يسمى الاسم الذي يتصف بهذه الصفات في الأصل " مبتدأ " فيكون الموقع هو الصورة الذهنية التي وقعت فيها كلمة (كتاب) . و كذلك الشأن بالنسبة للموقع الآخر الذي تحل فيه كلمة (جديد). فهو اسما أولا ووصف ثانيا و متأخر ثالثا و مسند رابعا و حكم خامسا، و يسمى الاسم الذي تجتمع فيه هذه الصفات خبرا، و عليه تكون كلمة (جديد) هي المنطوق الذي يحل في الموقع الذي هو في الحقيقة صورة مجردة .

يمكن تمثيل فكرة دي سوسير بالشكل (1) الذي يجعل مخطط البناء هو الأساس الذي تختار له مواد البناء و لا يظهر البناء إلى خير الوجود إلا بوجود مخطط ذهني له، ثم نختار المواد على أساس ذلك المخطط .[1]

[1] سمير شريف إستيتية، المرجع نفسه، ص163 .

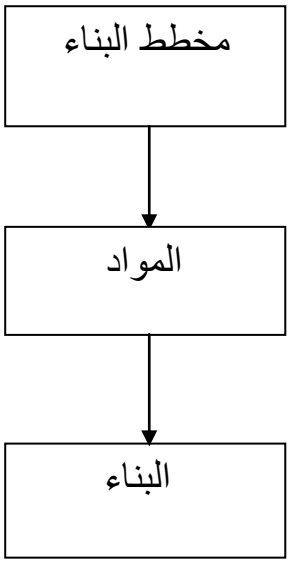

الشكل01:التسلسل من المجرد إلى المحسوس.

و هذا أمر يمكن تصور تطبيقه على التراكيب اللغوية، فإن الصورة الذهنية للغة تعادل مخطط البناء، أما الكلمات فهي مادة التركيب. و الكلمات نفسها أصوات منظمة التوزيع في وحدات صرفية تحدد بنية الكلمة، و في وحدات أخرى تحدد الصورة المعجمية للكلمة. و من هذه الكلمات يتم تكوين التراكيب و الشكل (2) يوضح ذلك :[1]

[1] سمير شريف إستيتية، المرجع نفسه، ص163 .

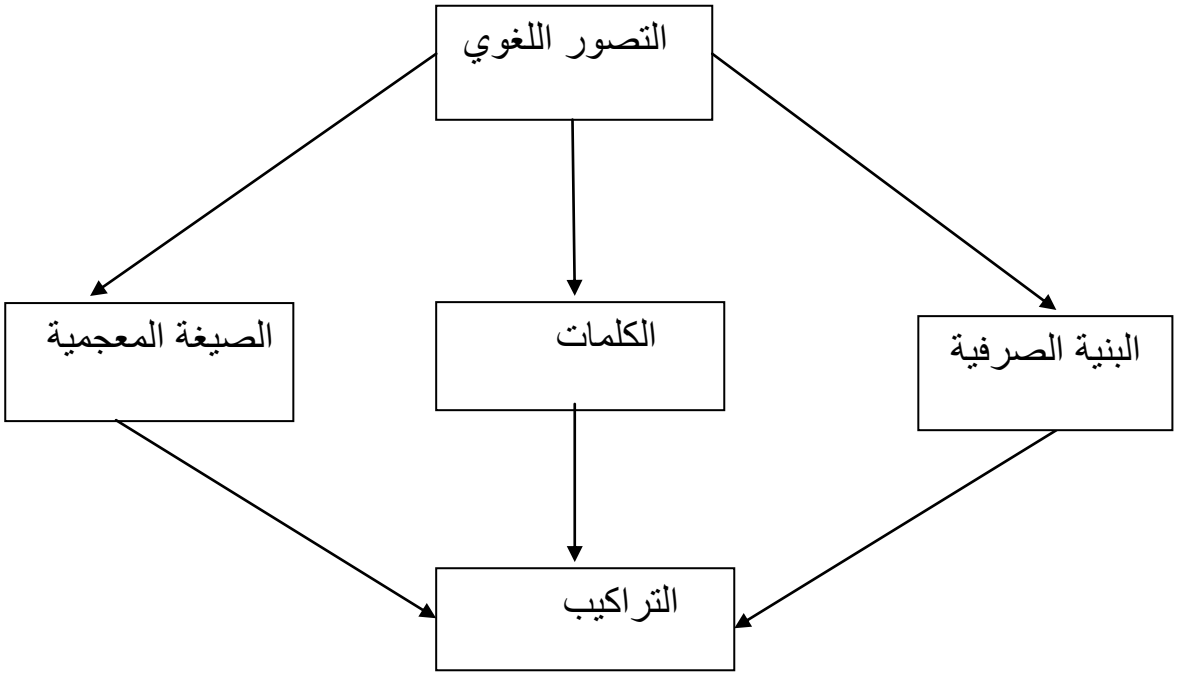

الشكل 02. [1]

و يشير كذلك أن العلم الذي يدرس الأحداث اللغوية في الغرب مر بثلاث مراحل قبل أن يعرف وجهته الصحيحة. و هذه المراحل الثلاث هي :

1)- مرحلة دراسة النحو، تنظيم القواعد و وصف الوقائع دون الاهتمام باللغة في ذاتها على نحو ما كان يضع الإغريق و الفرنسيون بعدهم .[2]

[1] سمير شريف إستيتية، المرجع نفسه، ص164 .
[2] توفيق محمد شاهين، علم اللغة العامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1980م، ص44 .

2)- ثم عرفوا الفيلولوجيا (فقه اللغة) في " فريديريك أوجاست وولف " ابتداء من عام 1777م، على غرار مدرسة الإسكندرية الفيلولوجية التي كانت تهتم باللغة و توثيق النصوص و دراستها و التاريخ الأدبي و النقد وإحياء المخطوطات وكان ذلك تمهيدا لعلم اللغة التاريخي .

3)- و جاءت مرحلة الفيلولوجيا المقارنة أو النحو المقارن لاكتشاف العلاقات بين اللغات على يد المشرق الانجليزي " وليم جوتر " 1794م الذي اكتشف قرب (السانسكارية) بعض لغات أوروبا و آسيا و بعد المقارنات أثبت حكمه أن السانسكارية أوفى من الإغريقية و أجمل من الإغريقية و اللاتينية من جهة أصول الكلام و صيغ النحو و أن جميعها متفرعة من أصل واحد كما أثبت العلماء بعد إذن أن الساميات من أصل واحد، و هذه الدراسات في ق 19م أدت إلى ظهور :

أ)- علم القواعد المقارن : هو الذي يدرس القواعد التاريخية التفصيلية التحليلية في فصيلة من اللغات الإنسانية أو في جميع الفصائل كما يقوم على الموازنة و على الأمور الداخلية للألفاظ و القواعد و تطويرها.

ب)- علم القواعد التاريخي : هو الذي يبحث عن لغة واحدة و يعتمد عن التحليل بلا موازنة و يعنى بالعناصر الخارجية التي تؤثر في القواعد و تنقلها من حال إلى حال عبر الأزمنة .[1]

[1] توفيق محمد شاهين، المرجع نفسه، ص45 .

3)- الثنائيات اللسانية :

لم يكن ولوع سوسير بإبراز أوجه التناقض في اللسان بمجرد رغبة أو لإشباع نزوة أو هوس على حد تعبير فكتور هنري بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتائج تمحيص لبنى اللغة، و تذهب بعض الدراسات إلى أنه من الممكن أن يكون قد تأثر فيها بالنظرية الكلاسيكية التي تؤكد وجود وجهين مختلفين للأشياء كلاهما يكمل الآخر و يجدده، و يبدوا أن هذه الثنائيات لا تمثل تطابقا و اختلافا جذريا كما يتصورها البعض أن تكون فهي متداخلة و تبدأ حين تنتهي سابقتها و ليس لأحدهما قيمة إلا بالأخرى، فالفصل الذي يقيمه الدارس بين الدراسة التاريخية و الآنية لا حدث على مستوى الأشياء المدروسة لغويا وإنما في مستوى الذهن فهي كخطوط الطول و العرض على الدارس لجغرافيا الأرض فقط و إن لم يكن لها وجود فعلي و واقعي .

إن ثنائيات دي سوسير تكشف عن مجمل تصوره اللساني و قد أضحت هذه الثنائيات مبادئ أساسية للسانيات العامة و ربما كان مهما في التأسيس اللساني في عرضها كما وردت في محاضرات سوسير، و هي كالتالي :[1]

[1] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، المرجع السابق، ص 73 .

1)- اللسان و الكلام :

فرق دي سوسير بدقة بين الثنائي الذي كان مترادفا عند علماء اللغة التقليديين و هو اللسان و الكلام على أساس أن اللسان في حقيقته نظام اجتماعي في حين يعد الكلام الاراء الفردي الذي يتحقق من خلال هذا النظام و أن الصلة بينهما هي عين الصلة بين الجوهر (اللغة) و العرض (الكلام) و هو جانب نفسي فيزيائي أي أنه ميز بين لغة مجموع الجماعة المتكلمة التي توجد في الوعي الكلامي لكل فرد و ظاهرة الكلام الفردي الذي يعكس نموذج اللغة الذي يمتلكه كل فرد متكلم مستمع ينتمي إلى مجتمع لغوي متجانس و إذا لم نحاول إقامة تفريق بين اللغة والكلام و عددنا العلاقة بينهما علاقة تكامل نكون قد انطلقنا من تصور و هو أن اللغة ملك لمجموع الجماعة المتكلمة و لكنها تتحقق فعلا عن طريق الكلام الفردي و الكلمات المنطوقة بالفعل تنسجم من حيث المبدأ مع المعايير التي تفرضها لغة المجتمع المتكلم, فالكلام تجسيد للغة في المجتمع.إن اللغة قوامها "الشكل" و اللفظ قوامه "المادة الصوتية و الدلالية" و هو الذي ندركه مباشرة يمكن اللغة التي لا تظهر للعيان و لا تخضع للتجربة إلا من خلال الاراء اللفظي .[1]

الكلام هو ما انتظم من حرفين فصاعدا، و اللسان هو الخاصية النوعية للكائن البشري كي يتواصل بواسطة نظام من العلامات الصوتية (اللغة) يستخدم تقنية جديدة و يفترض وجود وظيفة رمزية و مراكز عصبية جماعية اجتماعية (أو مجموعة لغوية) اللغة معينة، اللغة أعم من الكلام و الكلام اعم من اللسان .[2]

[1] نعمان بوقرة،اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، المرجع السابق، ص 73 .
[2] بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث:سوسير نموذجا، المرجع السابق، ص 60 .

فاللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان و مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة، و على العموم اللسان متعدد الجوانب وغير متجانس- يشمل على عدة جوانب في آن واحد- كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) و الجانب الفسلجي (الوظيفي) و الجانب السايكولوجي (النفسي)، و اللسان ملك للفرد و للمجتمع لا يمكن أن نصنفه إلى أي صنف من أصناف الحقائق الشبكية، لأننا لا نستطيع أن نكشف عن وحدته .

أما اللغة، فعلى النقيض من ذلك، لها كيان موحد قائم بذاته، فهي تخضع للتصنيف، و تحتل المركز الأول بين عناصر اللسان وهذا التصنيف يضفي نظاما طبيعيا. على كتلة غير متجانسة (اللسان) لايمكن أن تخضع لأي تصنيف آخر .

و قد يعترض المرء على مبدأ التصنيف فيقول : لما كان اللسان يعتمد على الملكة الطبيعية، فحين أن اللغة هي شيء مكتسب تقليدي، كان ينبغي إذن أن لا تكون اللغة في المنزلة الأولى، بل يجب أن تخضع للملكة الفطرية .[1]

يقول دي سوسير: "إن الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، و الكلام سلوك و اللغة معايير هذا السلوك، و الكلام نشاط و اللغة قواعد هذا النشاط" .[2]

[1] فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام، تر، يوئيل يوسف عزيز، دار الأفاق العربية، بغداد، ط 1، 1985م، ص28 .
[2] زواوي باغورة، الفلسفة و اللغة، المرجع السابق، ص134 .

1)- الدال و المدلول :

أ)- العلامة اللغوية : عند دي سوسير هي علامة ذات وجهين لأنها عبارة عن اتحاد "الصورة الصوتية" و هي "الدال" و تمثل ذهني "أو تصور" و هو "المدلول" و العلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي توليفية من الشكل الصوتي الذي يشار إلى المعنى "الدال" و المعنى نفسه "المدلول" أما عن موقف سوسير من طبيعة العلاقة بين الدال و المدلول فنجده معارضا للاعتقاد القديم الذي كان يرى أن اللغة ليست سوى قائمة أشياء مناسبة للأشياء الطبيعية فالعلاقة بينهما ما هي إلا علاقة اعتباطية و على هذا الأساس فإن سوسير يخطأ هذه النظرية و يأتي بالحجج الآتية :

1)- إنه لمن الخطأ أن نقول بأسبقية الفكر بإشكالية العلاقة القائمة بين الفكر و اللغة، فهو يرى أن الفكر ليس سوى كتلة عديمة الشكل أو سديم غير واضح المعالم بحيث لا يمكن لأي كان أن يميز بين الأفكار دون الاستعانة بالعلامات اللسانية فلا شيء يوجد بدون لغة فيصبح من غير اللائق أن يتحدث عن أولوية أو فضيلة أحدهما على الآخر بل يجب اشتراكهما في عملية واحدة تكون شبيهة بالورقة وجهها الفكر و ظهرها اللغة .

2)- هي تفترض أن العلاقة القائمة بين الاسم و المسمى عملية سهلة للغاية و هذا غير حقيقي لكن تقترب هذه النظرية البسيطة من الحقيقة كون الوحدة اللسانية مزدوجة أي قائمة على التقارب بين الأمرين .[1]

[1] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، المرجع السابق، ص 73 .

و ينجم عن هذا كله أن الدليل اللساني عملة ذات وجهين متحدين أحدهما "الدال" و الآخر "المدلول" و يرى هذا المجال أن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية .[1]

فالإشارة اللغوية تربط بين الفكرة و الصورة و ليس بين الشيء و التسمية. و لا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزياوية للصوت بل الصورة السايكولوجية للصوت. أي أن الانطباع أو الأثر التي تتركه في الحواس. إذن فالصورة الصوتية هي حسية (لها علاقة بالحواس) و إذا حدث و وصفتها فإنما أعني ذلك في طبيعة حسية، وبالمقابلة بالعنصر الآخر للارتباط، وهو فكرة التي هي أكثر تجريدا من الصورة الصوتية على العموم .

إن الطبيعة السايكولوجية للصور الصوتية تصبح واضحة عند ملاحظتنا للساننا فنحن نستطيع أن نتكلم إلى أنفسنا، أو نتلو في ذهننا قصيدة، من غير أن نحرك شفاهنا .

ولما كنا نعد الكلمات الموجودة في لغتنا صورة صوتية، وجب تجنب استخدام لفظة "الفومينات" التي تتألف من الكلمات فهذه اللفظة التي توحي بفعالية صوتية لا يصح استخدامها إلا عند الحديث عن الكلمة المنطوق بها شرط أي عند إخراج الصورة إلى الواقع في الحديث .

و يمكن تجنب اللبس باستخدام أصوات الكلمة و مقاطعها شرط أن نتذكر أن الأسماء تشير إلى الصورة الصوتية .[2]

[1] نعمان بوقرة، المرجع نفسه، ص74 .
[2] فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص84 .

و يقف سوسير على مصادرتين مميزتين لعمل سوسير و هما اعتباطية العلامة و نظرية القيمة :

أ)- اعتباطية العلامة : يقول دي سوسير: "إن الرابط الذي يجمع بين الدال و المدلول رابط اعتباطي" [1]

إن العلاقة التي تربط الدلالة بالمدلول هي علاقة اعتباطية، أو بعبارة أخرى هي الكل الحاصل من اجتماع الدال و اتحاده بالمدلول، فإننا نستطيع أن نقول على وجه الاختصار: إن الدلالة اللسانية اعتباطية .[2]

فما هو اعتباطي إنما يكمن في أن العلامة المعينة لا غيرها تطابق عنصرا معينا من الواقع لا غيره من العناصر فالاعتباطية تنزل إذن في عملية تقسيم الواقع (و نعرف أن اللغات يمكن أن تختلف في كيفية التمييز بين ألوان قوس قزح يمكن أن تختلف في كيفية التمييز بين ألوان قوس قزح مثلا) عكس وجهة النظر العفوية للمتكلم الذي لا يرى في العلامة إلا اسما للواقع (كما هو يقطع النظر عن كل أنواع الكلام و قبل ذلك) فالاعتباطية لها هنا معنى التواضع (و محاكاة الأصوات و الكلام البيانية هي نفسها تواضع نسبيا) و يبقى أمر معرفة مصدر هذه التواضعات .[3]

[1] محيي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2008م، ص16 .
[2] فردينا ندي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 2008م، ص105 .
[3] كاسريس فوك، و آخرون، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م، ص22 .

و هذه الرؤية إذن نتيجة نظرية تعريف اللغة كقانون تواضعي و هو ما يؤدي إلى أن نعتبر العلامة وحدة بحال تفكيكها و يحسن أن نبحث عن العلاقات بين العلامات بعضها بعض على أن تسعى إلى تعليل الثنائية الداخلية، "فمن الوهم الكبير أن ننظر إلى الكلمة كمجرد اتحاد بعض الأصوات ببعض المفاهيم و إذا عرفناها بهذه الطريقة فإنما نعزلها عن النظام الذي تنتمي إليه فيظن بأننا يمكن أن نشرع بالكلمات لبناء نظام بمقتضى عملية جمع في حين أن الأمر بالضد أي أن المنطلق يجب أن يكون من الكل المتماسك لنحصل تحليلا على العناصر التي يتضمنها" .

ب)- نظرية القيمة : القيمة التي تصاغ باعتبارها جملة العلاقات بين العناصر التي تتجاوز العناصر ذاتها في باب المدلولات أو في باب الدالات أو العلامات .

_ المدلولات : "أن المفاهيم عبارة عن خلافات محضة و هي لا تعرف إيجابا حسب مضمونها و إنما سلبا حسب علاقتها ببقية العناصر في النظام و أخص خصائصها هي أن تكون ما لا تكونه البقية" .

_ الدالات : "أن الدال اللساني في جوهره ليس أصواتها فهو غير مجسم و مركب لا بمادته المجردة و إنما هو مركب فقط من الاختلافات التي تفصل صورته المسموعة عن البقية" .

وأما العلاقات بين العلامات فهي ليست في رتبة الاختلاف بل في المقابلة : "فلئن كان المدلول و الدال، كل على حدة، خلافين فإن تعاقدهما ظاهرة ايجابية" .[1]

[1] كاسريس فوك، المرجع نفسه، ص23 .

فبهذا المفهوم الذي يفيد أن "في اللغة لا وجود للاختلافات" تتبلور الرؤية التي تجعل من سوسير مؤسس البنيوية في اللسانيات. و البنيوية عنده تختلف مع التحليلية عند من سبقه إذ أن وصف القوانين الجسمية و أسبقية العلاقات بين العناصر يتباين مع مجرد الجمع بين تلك العناصر .

"إن اللغة عبارة عن شكل و مادة" .[1]

ب)- خصائص العلامة اللغوية عند دي سوسير :

أولا: إن العلامة اللغوية لا تقرن شيئا بالاسم و إنما تقرن مفهوما بصورة سمعية و المقود بالصورة السمعية ليس الصوت المسموع أي الجانب المادي بل هو الأثر النفسي الذي سيتركه الصوت فينا أو بعبارة أخرى التصور الذي تنقله لنا حواسنا للصوت فالنسق بين التصور والصورة السمعية هو علامة و العلامة اللغوية هي وحدة نفسية مزدوجة و العنصران (المفهوم- الصورة السمعية) مرتبطان معا ارتباطا وثيقا و يتطلب وجود الواحد منها وجود الآخر، لقد اعتدنا أن نسمي باسم "علامة " العلاقة الترابطية بين المفهوم و الصورة السمعية غير أن مصطلح علامة يشير عادة إلى الاستعمال الشائع إلى الصورة السمعية فقط لهذا يضيف سوسير الاحتفاظ بكلمة علامة للدلالة على الكل و تبديل كلمتي : "تصور و صورة سمعية" بكلمتي : "الدال و المدلول ".

العلامة مجموعة ما تنجم عن ترابط الدال بالمدلول، و صفة الدال خطية و لكون الدال ذا طبيعة سمعية فإنه يمتد في الزمن فحسب متمتعا بصفاته :[2]

[1] كاسريس فوك، وآخرون، المرجع نفسه، ص23 .
[2] آن إيف ميشال أرفيه، و آخرون، السيميائية، تر،رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمان، ط 2، 2012م، ص34 .

أ)- إنه يمثل بعدا "اتساعا" .

ب)- يمكن قياسه في بعد واحد هو المنحنى الخطي .

ثانيا: اللغة منظومة من العلامات تعبر عن فكر ما، أم الكلام فهو عمل فردي للإرادة و للعقل .

ثالثا: إن الدليل يجب أن يفهم داخل تصور عام، هو النظام systéme, الذي يتضمن مفهوم الكل و العلاقة، حيث لا يمكن فهم وظيفة الأجزاء، إلا في علاقتها الاختلافية مع الكل, فالأجزاء داخل النظام ليس لها معنى في حد ذاتها عندما ينظر إليها معزولة، و هو ما عبر عنه سوسير بمفهومه "القيمة- valeur" الذي يفترض أن الوحدات اللغوية تعرف في علاقتها التعارضية، لقد تبنت اللسانيات البنيوية مفهوم القيمة: "إن ما يوجد من فكرة أو مادة صوتية في الدليل، هو أقل قيمة بالمقارنة مع ما يحيط به من دلائل أخرى .[1]

3)- الآنية و الزمانية :

يمكن تحليل بنية اللغة بنوعين من المقاربة :

أ)- المقاربة الآنية أو التزامنية : synchronique، هي التي تعالج الموقف اللساني في لحظة يعنيها من الزمن أي أنها تعني بوصف الحالة القائمة للغة و تتجلى اللغة بهذه الحالة في هيئة نظام منسق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع يعنيه مما يعني صمود اللغة بفعل قوة معينة أما التغيير مؤكدة ثباتها و مقاومتها لاعتباطية التغير في العلاقة الرابطة للدوال بمدلولاتها .[2]

[1] آن إيف ميشال آرفيه، و آخرون، المرجع نفسه، ص35 .
[2] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، المرجع السابق، ص 77 .

و من بين هذه القوى التي يقررها بعض الباحثين الثروة المفرداتية الكبيرة، البنية اللغوية المعقدة و الصفة الجماعية للغة و الجمود الذي يميز اللغة بايطارها الاجتماعي .

ب)- المقاربة التعاقبية : diachronique، تعنى هذه المقاربة بتاريخ اللغة، أي أنها تعنى بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم، و هي التي يحتل بعضها مكان بعض دون أن تتجاوز بالضرورة في نظام واحد، و يطلق اللسانيين على الأول اسم المنهج البنيوي الذي يهدف بدوره إلى البحث في العناصر المتتابعة زمانيا و اللسانيات الحديثة تجعل البحث الوصفي أو التزامني مقدما على المنهج التاريخي من حيث إجراءات البحث و ذلك لأن وصف نظام لغوي في زمن ثان ثم وصف نظام لغوي من اللغة نفسها في زمن ثالث يجعل من الممكن بعد ذلك عمل دراسة لغوية تاريخية توضح الأصل و النشأة و اتجاهات التغير، إلا أن تقديم أحدهما على الآخر لا يعني إلغاء الثاني و هذا ما أكده سوسير و في هذا السياق يؤكد سوسير خضوع اللغة لسنة التغير و التطور عبر الزمن .

و إن كان هذا التغير بطيئا إلى درجة عدم ملاحظته من طرف المتكلمين و ينجم عن هذا التبدل تغير في طبيعة العلاقة بين الدوال و مدلولاتها مما يؤكد مرة أخرى الصفة الاعتباطية للدليل اللغوي .[1]

[1] نعمان بوقرة، المرجع نفسه، ص77 .

_ و يعني المحور التزامني أو الأفقي أن الدراسات تقوم على رصد العلاقات بين الأشياء المتواجدة أو المتوافقة على أساس ثابت ليس للزمان فيه أي دخل، و هذا يؤدي إلى دراسة الظاهرة في أنياتها أو في صورتها البنيوية. أما محور التعاقب أو الدراسة العمودية, فتكون الدراسة فيه حسب العلاقات بين الأشياء المتتابعة على أساس التغير الزمني و التاريخي.

و بهذا المعنى تكون الدراسة التزامنية دراسة وصفية، في حين أن الدراسة التعاقبية دراسة تاريخية أي أن التزامن يترجم جميع المظاهر التي تتصل بأوضاع النظم اللغوية من الوجهة الوصفية بينما يترجم المحور التعاقبي أشكال التطور التاريخية و من أهم مميزات المبدأ التزامني اعتماده على استقلالية اللغة بالنسبة إلى الأحداث التي تنتجها. و هذا ما يجعل من دراستها دراسة، أولا دراسة وصفية و ثانيا ثابتة و ثالثا مستقلة عن جميع الظواهر و المتغيرات، كما يسمح بدراسة العناصر اللغوية من حيث علاقتها بالتنظيم اللغوي .[1]

آنية/ تعاقب: مصطلحان يشيران إلى إحدى الثنائيات الأساسية، بحيث يقصد بالسينكرونية أو الآنية وصف الظاهرة اللغوية من حيث هي مجموعة من العناصر المترابطة في لحظة بعينها، و ذلك على النقيض من الدياكرونية أو التعاقب الذي يشير إلى تتابع هذه العناصر في حقب مختلفة من تطور لغة واحدة. و لقد انطوى هذا التمييز على عدة نتائج لافتة أهمها تأكيد حقيقة اللغة بوصفها نسقا كاملا متكاملا في كل لحظة من لحظاته، على نحو تغدو اللغة وجودا كاملا مستقلا عن تاريخه .[2]

[1] الزواوي باغورة، الفلسفة و اللغة، المرجع السابق، ص135 .
[2] إديث كريزويل، عصر البنيوية، المرجع السابق، ص414 .

لم يقتصر سوسير على التفرقة بين اللغة والكلام أو بين الدال و المدلول بل أقام تفرقة أخرى بين "اللغويات الداخلية" و "اللغويات الخارجية"

فالأولى دراسة محايثة وصفية وقتية للغة و الثانية عبارة عن دراسات العلاقات القائمة بين اللغة من جهة و بين الدوائر المؤثرة من جهة أخرى عليها كالحضارة و التاريخ السياسي و علم النفس و المنطق.

فاللغة محصورة داخل "نظام" أو "النسق" و هي لا تعرف سوى هذا النظام الخاص أو النسق المحدد لأن هذا النظام أو النسق مترابط فيما بينه يعمل ككل متماسك و يفضل سوسير التنظيم الباطني أو القواعد الداخلية أو اللغويات الداخلية على الخارجية أي يفضل القواعد الداخلية على مظاهر اللغة الخارجية التي تطورت عبر الزمن .

و لأن سوسير فرق بين مظهرين من مظاهر "اللغة و الكلام" و هو عنده نشاط واقعي يقوم به الفرد و يتمثل في نطقه بعبارة ما و هذا النشاط الواقعي يتغير دائما و الأمر الثاني الذي يسميه سوسير لغة فهو "الصور الذهنية" المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية لكل لفظ و كل تركيب أو صوت من ألفاظ اللغة و تراكيبها و أصواتها أو هي مجموعة الرموز التي تحتويها لغة ما من اللغات . [1]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها و تطورها و أبرز أعلامها، المرجع السابق، ص179 .

لقد رفض سوسير تعريف اللغة الذي يقول : "أن اللغة نشاط مكتسب يتم بواسطة تبادل العواطف و الأفكار بين أفراد جماعة إنسانية معينة"، و كان سبب رفض سوسير لأنه تعريفي وظيفي، و لقد وجد دي سوسير نفسه في تفرقة أخرى و هي التفرقة بين التزامن (السيكروني) و بين التطور التاريخي (الدياكروني) تمثل الأولى المحور الأفقي في حين تعتبر الثانية المحور الرأسي، فالأولى تمثل وجهة النظر الوصفية بينما تمثل الثانية وجهة النظر التاريخية.

فأخذ سوسير بالأولى و رفض الثانية لأن اللغة باعتبارها بنية ذات طبيعة رمزية فلا بد من التسليم بأنها لا تنطوي على أي بعد تاريخي. فاللغة عنده عبارة عن نسق أو نظام يخدم بعضه بعضا و يقوم بعضه ببعض و يرفض ارتباط صوت معين بتصور معين لأن مثل هذا القول من شأن أن يعزل اللفظ عن النظام الذي وجد فيه و من أجله .[1]

و تصادر اللسانيات العامة على وجود وظيفة كلية تسمى اللغة و تمكن جنسنا البشري من إعطاء شكل للأفكار و تبليغها .[2]

و يمكن القول بأن ما يميز اللسانيات هو علميتها و موضوعيتها. و تتطلب هذه العلمية بصفة عامة قواعد و أصول محددة للتعامل مع الظواهر المتمثلة هنا في اللغة. مثل هذه الأصول موجودة فعلا في مجال اللسانيات و هي في مجملها ما قدمته مختلف المدارس اللسانية الحديثة و المعاصرة من بنيوية و توليدية و وظيفية، بعضها تم تجاوزه و بعضها ما يزال قائما حول اجماع.[3]

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع نفسه، ص179 .
[2] مارتن روبير، مدخل لفهم اللسانيات، تر، عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2007م، ص89 .
[3] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، المرجع السابق، ص256 .

و اللسانيات هي دراسة علمية للغة، و اللغة المقصودة هنا ليس لها علاقة بالمفهوم الحسي أو الواقعي للغة أي اللغة كأصوات نسمعها و نتعرف عليها، فاللسانيات منذ دي سوسير تقسيم ما يعرف (بالظاهرة اللغوية) إلى ثلاثة مستويات- "اللغة" "و اللسان" "و الكلام"، و موضوع اللسانيات ليس هو اللغة بمعناها العام رأي الملكة اللغوية أو القدرة على اللغو بغض النظر عن العرق و الجنس و هو ما يسميه الفرنسيون بعد سوسير اللسان و هو ذلك النسق من القواعد المجردة، العامة المشتركة بين المتكلمين داخل مجتمع لغوي محدد. و التعامل مع اللسان من منظور اللسانيات الحديثة محكوم بغاية محددة هي "دراسة اللسان في ذاته و من أجل ذاته" و هي المقولة الشهيرة لدي سوسير التي كانت وراء استقلال اللسانيات كعلم قائم في ذاته .[1]

[1] مصطفى غلفان،المرجع نفسه، ص257 .

خلاصة:

وفي نهاية المطاف يمكننا القول أن فريدينان دي سوسير كان مساهما كبيرا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين فكان أول من اعتبر أن اللسانيات كفرع من علم اشمل يدرس الإشارات الصوتية حيث اقترح تسميته بالسيموتيك أو علم الإشارات كما انه توصل إلى أربعة كشوف هامة تتضمن أولا مبدأ ثنائية العلاقة اللفظية أي:

- التفرقة بين الدال والمدلول فاللغة عنده هي نظام من الإشارات التي تعتبر اللغة والعلاقة بين تلك الإشارات ومدلولاتها علاقة اعتباطية بدليل اختلاف الإشارة وهذا ما قاده إلى تأسيس السيميولوجيا .

- وثانيا مبدأ أولوية النسق أو النظام على العناصر فهو يشير بذلك على أن اللغة نظاما ويريد بنية هذا النظام وذلك لكونه مؤلف من وحدات لها تأثير متبادل على بعضها فهو يدعو إلى تحليل البنية أي النظام والكشف عناصرها كالرموز والصور في نسيج العلاقات اللغوية أي في أنساقها لمعرفة ملابسات بنيتها من الداخل والخارج .

- وثالثا مبدأ التفريق بين اللغة والكلام من حيث أن اللغة مجموعة من القواعد والوسائل التي يتم التعرف اللغوي طبقا لها أما الكلام هو الطريقة التي تتجسد من خلالها تلك القواعد والوسائل في موقف بعينه .

- وأما رابعا مبدأ التفرقة بين التزامن والتعاقب حيث يرى بأنه ممكن أن تكون دراسة نسق اللغة إما تزامنية أو تعاقبية .

الخاتمة

لقد عني الفلاسفة منذ القديم بمفهوم البنية، و قد واجه تحديد هذا المصطلح مجموعة من الاختلافات ناجمة عن تمظهرها و تجليها في أشكال متنوعة لا تسمح بتقديم قاسم مشترك.

إذ أن البنيويون أنفسهم نجدهم يوردون لها تعريفات مختلفة و هي في معناها الواسع "طريقة بحث في الواقع، ليس في الأشياء الفردية، بل في العلاقات بينها"، و كما ذكرنا سابقا فإن البنية ظهرت في بداية الأمر في علم اللغة و برزت عند فردينا ندي سوسير الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية و ذلك عندما طبق المنهج البنيوي في دراسته للغة، أما فيما يخص فكرة النظام و النسق الذي يتحكم بعناصر و أجزاء النص مجتمعة و الذي يمكن أن يظهر من خلال شبكة العلاقات العميقة بين المستويات النحوية و الأسلوبية، فهي مستمدة من فكرة العلاقات اللغوية التي تعد أساسا من أسس نظرية دي سوسير التي وضعها حين قال بأن اللغة ليست مفردات محددة المعاني و لكنها مجموعة العلاقات بمعنى أن الكلمة لا يتحدد معناها إلا بعلاقاتها مع عدد الكلمات، بما سبقها، و بما لحقها.

فاللغة هي الرحم الأول لنشأة البنيوية، إذ هي عبر هندستها المتجددة و تلازمها الوظيفي مع اللحظة التاريخية تمثل صورة الانبناء كأحسن ما يكون التصوير، لذا فإن المعرفة اللسانية قد استوعبت الفكرة البنيوية فجلت ملامحها و وضعت المفاهيم المؤدية لها.

و لقد كان لسوسير الفضل في تطوير العديد من نواحي اللسانيات البنيوية في القرن العشرين إذ أن هذه الأخيرة هي المنهجية النظرية التي تعتبر اللسان بنية: أي مجموعة من العناصر التي تقيم علاقات شكلية فيما بينها. و هي علم يقوم على أساس أن تحليل أي

عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي كما أن اللسانيات البنيوية نظرية تطبق المنهج الوصفي في دراسة اللغة .

و ما توصلنا إليه هو أن مصطلح البنية ظهر لأول مرة مع الفيلسوف دي سوسير الذي أطلق عليه مفهوم النسق أو النظام الذي كان له دور مهم في مرحلة اللسانيات، و من هنا هل استمر هذا المفهوم إلى ما بعد سوسير ؟ .

بيبليوغرافيا

1)- قائمة المصادر:

1)- فردينا ندي سوسير، علم اللغة العام، تر، يوئيل يوسف عزيز، دار الآفاق العربية، بغداد، ط1، 1985م .

2)- فردينا ندي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2008م .

2)- قائمة المراجع:

1)- إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م.

2)- إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها و تطورها و أبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 2009م .

3)- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ج2، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط،2009م .

4)- أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2007م .

5)- اديث كريزيول، عصر البنيوية، تر، جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م .

6)- الزبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت .

7)- آن إيف ميشال أرفيه، و آخرون، السيميائية، تر، رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمان، ط2، 2012م .

8)- أندريه نواراي، و آخرون، مداخل الفلسفة المعاصرة، تر، أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1988م .

9)- بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي و الدرس اللساني الحديث: دي سوسير نموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت .

10)- توفيق محمد شاهين، علم اللغة العامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1980م .

11)- جان بياجيه، البنيوية، تر، عارف منينة، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م.

12)- جان بيرو، اللسانيات، تر، الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، د ط، 2001م .

13)- جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا و معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر، فاتن البستاني، مركز الدراسات العربية، بيروت، ط1، 2008م .

14)- حنفي بن ناصر، و آخرون، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2009م .

15)- رابح بحوش، اللسانيات و تحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007م .

16)- روبير ماركان، مدخل لفهم اللسانيات، تر، عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م .

17)- روي هاريس، و آخرون، أعلام الفكر اللغوي: التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، تر، أحمد شاكر الكيلاني، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2004م .

18)- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، د ط، 1990م .

19)- زواوي باغورة، الفلسفة و اللغة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م .

20)- سمير شريف إستيتية، اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2005م .

21)- عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانية دي سوسيرية، دار الغرب، الجزائر، د ط، 2005م .

22)- عبد الوهاب جعفر، الفلسفة و اللغة، دار الوفاء، القاهرة، ط2، 2004م .

23)- عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993م .

24)- فريدة غيورة، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2002م .

25)- كاسريس فوك، و آخرون، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م .

26)- ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، تر، ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط2، 2008م.

27)- محمد مهران رشوان، و آخرون، الفلسفة الحديثة و المعاصرة، دار المسيرة ، عمان، ط1، 2012م .

28)- محمود اليعقوبي، المختار من النصوص الفلسفية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2005م .

29)- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2010م .

30)- مليكة إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر، سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، د ب، ط2، 2000م .

31)- ميشال أرفيه، البحث في فردينا ندي سوسير، تر، محمد خير محمود البقاعي، دار الآفاق العربية، بغداد، ط1، 2009م .

32)- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، دار الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م .

33)- يحي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008م .

34)- يحي الدين محسب، اللغة و الفكر و العلم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1998م.

3)- قائمة الموسوعات:

1)- ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية و الفلسفية و الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008م .

4)- قائمة المجلات:

1)- محمد بلقاسم، النقد البنيوي، ضمن، مجلة النحاب و اللغات، العدد 8، 2009م .

2)- يوسف وغيسي، البنية و البنيوية، ضمن، مجلة الدراسات اللغوية، العدد 006، 2010م.

5)- قائمة المذكرات:

1)- أحلام مناصرية، بنية الخطاب السردي في رواية السمك لا يبالي، جامعة قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، 2011م .

2)- عبلة شريفي، جهود فردينا ندي سوسير في علم الدلالة، جامعة قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، 2011م .

فهرس المصطلحات

synchronique	الآنية
arbitraire	الاعتباطية
structure linguistique	البنية اللسانية
stracturalism	البنيوية
transformation	التحولات
constitution	التركيب
diachronique	التعاقبية
signifiant_ signifie	الدال و المدلول
pome	الشكل
auto_réglage	الضبط الذاتي
signe linguistique	العلامة اللغوية
phonemes	الفونيمات
valeur	القيمة
la parole	الكلام
totalité	الكلية

qualité. modalité	الكيفية
la langue	اللسان
linguistique	اللسانيات
language	اللغة
grammaire	النحو
organisation	الهيكلة
structure	بنية
système	نسق
ordre	نظام

فهرس الأعلام

أرسطو	aristote
آلبير سيشهاي	albert sechehaye
إميل بنفنيست	emile benveniste
إيميل دور كهايم	emil durkheim
باسكال	pascal blaise
بلومفيلد	bloomfield
بودوان دي كورتني	baudoin de courtenay
ترويتسكوي	troubetskoy
تشومسكي	chomisky
جاكبسون	jackobson
جاك دريدا	Jacques derrida
جاك لاكان	Jacques la can
جان بياجيه	jean piaget
جون جاك روسو	jean Jacques rousseau
جون ليونز	j- lyons

roland barthes	رولان بارت
Sigmund freud	سيغموند فرويد
Charles bali	شارل بالي
Ferdinand de saussure	فردينا ندي سوسير
karceuskg	كارسيكيج
immanual kant	كانط
claude levi strauss	كلود ليفي ستراوس
andré lalande	لالاند
Louis althusser	لويس ألتوسير
Gottfried Wilhelm leibniz	ليبنز
karl marx	ماركس
Michel foucault	ميشال فوكو
nietesché	نيتشه
hielmselv	هلمسيلف

المقدمة العامة

الفصل الأول : التطور الجنيالوجي و الكرونولوجي لمفهوم البنية

المبحث الأول : مفهوم البنية

1 -المعنى الاشتقاقي.....08

2 -المعنى الاصطلاحي.....11

3 -المعنى الاديولوجي.....18

المبحث الثاني : التطور التاريخي للبنية

1 -الخلفيات الأولى للبنية

أ- الخلفية اللسانية.....20

ب- المدرسة الشكلانية.....24

ج- حلقة براغ.....27

2 -استيطان البنية في مختلف العلوم :

أ - بنية ليفي ستراوس.....31

ب- بنية جاك لاكان.....34

ج- بنية ألتوسير.....35

3 -خصائص البنية.....36

4 -أسباب انهيار البنية.....37

الفصل الثاني : اللسانيات عند دي سوسير

المبحث الأول : نبذة عن حياة دي سوسير

1 -حياة دي سوسير.....43

2 - مؤلفاته.....47

3- وفاته 49

المبحث الثاني : غرض اللسانيات و علاقتها باللغة

1 -مفهوم اللسانيات.....50

2 -مفهوم اللغة :.....52

أ - بنية اللغة.....54

ب -النحو عند سوسير.....56

3 -الثنائيات اللسانية :

أ - اللسان و الكلام.....62

ب -الدال و المدلول.....64

ج- الآنية و الزمانية.....69

خاتمة.....77

بيبليوغرافيا.....80

فهرس المصطلحات 86

فهرس الأعلام.....88